الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الجزائر 2 – أبو القاسم سعد الله –

كلية العلوم الإنسانية

قسم الفلسفة

اسم المادة:

الحجاج الفلسفي

مطبوعة الدعم البيداغوجي

مقدمة لطلبة السنة الأولى والثانية ماستر

تخصص: ماستر فلسفة عامة

اسم الوحدة: ح ف 1 + 2

من تنسيق الأستاذة:

بوجلال نادية

السنة الجامعية: 2022-2023

الحجاج الفلسفي 1 و2

السداسي الأول والثاني

الرصيد: 3

المعامل: 2

الأهداف:

– يهدف مقياس الحجاج الفلسفي إلى الارتقاء بالخطاب الفلسفي إلى العقلانية وبالطالب إلى مستوى التسامح الفكري وتفادي العنف والتطرف.

– التأسيس لذهنية الرأي الآخر والاختلاف معه في الفكر والاعتقاد.

– الاعتماد على الإقناع والبرهان والحجاج العقلاني المؤسس على الأدلة والبراهين.

محاور المادة:

أولا: تعريف الحجاج

ثانيا: الحجاج والمرادفات ذات الدلالة الواحدة

ثالثا: بيئة ظهور الحجاج

رابعا: موقع الحجاج من الخطاب الفلسفي

خامسا: النظريات الحجاجية

سادسا: الحجاج البلاغي الأرسطي

سابعا: الحجاج البلاغي الجديد أو الأرسطيون الجدد

ثامنا: الحجاج اللغوي

تاسعا: الحجاج التداولي

عاشرا: اللسانيات الحجاجية

حادي عشر: آليات المقاربة الحجاجية

طريقة التقييم: متواصل – امتحان

الملخص باللغة العربية:

مما لاشك فيه أن للحجاج الفلسفي أهمية كبرى في الخطاب الفلسفي عموما وفي الدرس الفلسفي خصوصا، وكذا كان لزاما على طالب الفلسفية الوقوف عنده والبث في آليات والمجالات التي يشتغل فيها، ذلك لأنه يفترض أساليب استدلالية ومنطقية للدفاع عن أطروحة ما والدفاع عنها لتحقيق الإجماع، والتأثير على المتلقي وإقناعه بشتى الآليات الحجاجية التي تجعل منه خطابا معقولا ومنظما يستعمل تقنيات إقناعية منطقية وبلاغية.

ولقد اكتسى الحجاج أهمية قصوى منذ ظهوره عند اليونان مرورا بالفلسفة العربية وصولا إلى الفلسفة المعاصرة باعتباره أداة هامة من أدوات التفكير الفلسفي إلى جانب القدرة على وضع المفهوم ثم فالاستشكال فالحجاج كنواة مركزية في فعل التفلسف.

Abstract:

There is no doubt that philosophical argumentation is of great importance in philosophical discourse in general and in philosophical lessons in particular. And so the student of philosophy had to stand up to him and look at its mechanisms and the areas in which it worked, That's because it assumes reasonable and reasonable methods of defending a thesis, and defend it to achieve unanimity and influence the recipient's conviction of the various argument mechanisms that make it reasonable and orderly, using reasonable and null and void persuasive techniques.

From its emergence in Greece through Arab philosophy to contemporary philosophy as an important instrument of philosophical thinking, along with the ability to conceptualize, argumentation are central to the act of philosophy.

المحاضرة الأولى

الحجاج الفلسفي

الحجاج – دراسة مفاهيمية –

مقدمة:

إن موضوع الحجاج وإن ظهر به الاهتمام في مدارسنا وجامعاتنا كتخصص مستقل في الآونة الأخيرة، إلا أن الاشتغال به امتد إلى أفلاطون وأرسطو وكل نظرية من نظرياته تستند في مرجعيتها إما إلى اللسانيات أو الفلسفة أو المنطق أو جامعة بين هذا وذاك، وكل نظرية لها تعريفها ومفهومها للحجاج.

1- تعريف الحجاج:

أ. **الاشتقاق اللغوي:**

كلمة argument كلمة اشتقت من الفعل اللاتيني argumer وتعني الأبيض اللامع وهي جذر إغريقي Argumes وتعني جعل الشيء واضحا ولامعا، وهو في السياق العربي كما جاء في لسان العرب لابن منظور في مادة حجج، حجه، يحجّه، حجّا: قصده، وحججت فلانا واعتمدته أي قصدته، ويقال: حاججته، أحاجه حجاجا ومحاجة حتى حججته أي غلبته بالحجيج التي أدليت بها، والحجة هي الدليل والبرهان، وقيل هي ما دوفع به الخصم، وقال الأزهري: "الحجة هي الوجه الذي يكون به الظفر عند الخصومة، وحاجه محاجة وحجاجا نازعة الحجة"[1].

وهكذا تكون المحاججة، ومن المنظور اللغوي المواجهة بسلاح الأدلة والبراهين ومقارعة الحجة بالحجة.

1- ابن منظور، **لسان العرب**، تحقيق عبد الله علي الكبير وآخرون، دار المعارف، القاهرة، د (ط، س)، ص ص.778-779.

أما المحجاج فهو المحب للمجادلة والمناقشة، وحجّ محاجّ وحجاجا: جادل للإقناع أو لدعم افتراض ما، أما احتج على أمر: أعلن معارضة ورفضه[1]. والحجاج هو البينة والإقرار[2].

ب. المعنى الاصطلاحي:

يقدم لالاند في موسوعته الفلسفية معنيين للحجاج وهما:

1. "سرد حجج تنزع كلّها إلى الخلاصة ذاتها".
2. "طريقة عرض لحجج وترتيبها"[3].

وبهذا المعنى يكون الحجاج هو طريقة في تقديم الحجج بغية تأكيد قضية ما أو نتيجة بعينها. أما الحجة عنده فهي إما استدلال المراد به برهان على قضية معنية أو دحضها، أو لفظ معين يمكنه الحلول محل متغيّر في دالة منطقية او اقتران رياضي[4].

وعليه يصبح الحجاج argument هو إشارة إلى اختلاف بين طرفين يحاول جملة من الحجيج التي يراها مدعمة أو داحضة لفكرة أو رأي أو سلوك، فيصبح بذلك ذو وظيفة إقناعية تفيا أو إثباتا[5]. ودراسته هي البحث في القواعد الداخلية للخطاب المتحكمة في تتابع وتسلسل الأقوال بشكل تدريجي ليكشف على منطق اللغة عير استنتاجات متسلسلة[6]. وهو يختلف عن البرهنة لأنه لا يقدم براهين وأدلة منطقية ولا يستند على مبادئ الاستنتاج المنطقي، فنتيجة الاستدلال المنطقي ضرورية منطقيا محتواة في إحدى المقدمتين، أما نتيجة

1- أنطوان نعمة وآخرون، **المنجد في اللغة العربية المعاصرة**، ط2، دار المشرق، بيروت، لبنان، 2001، ص 252.

2- معصر عبد الله، **تقريب معجم مصطلحات الفقه المالكي**، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2007، ص 56.

3- لالاند، **موسوعة لالاند**، تعريب خليل أحمد خليل، ط2، منشورات عويدات، بيروت، ج1، 2000، ص 94.

4- المرجع نفسه، ص 93.

5- حافظ إسماعيل علوي، **الحجاج مفهومه ومجالاته – دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة**، ج1، الحجاج: حدود وتعريفات، عالم الكتب الحديث، آلازون، ط1، 2010، ص 90.

6- أبو بكر العزاوي، **اللغة والحجاج، أفلاطون**، الدار البيضاء، 2006، ص 80.

الاستدلال الحجاجي فهي نسبية خاضعة لمبدأ الاختلاف والنقاش والاجتمال بوصفه فنا للإقناع بين الباحث والمتلقي ويتوقف على قوة الحجج وطريقة المحاجج والمحاجج[1].

هذا ويستبعد المشتغلون بهذا العلم القضايا العلمية والنحوية لكون قضايا العلم محسومة بالرفض أو بالقبول مثبتة بالتجربة والمخبر لا يعمد فيها إلى الحجاج لإثباتها، وكذا القضايا النحوية التي اعتبرها أرسطو من العلوم الدقيقة التي يستغني فيها عن اعتماد حكم ما ولا مجال للمناقشة فيها ولا تحتمل البدائل[2].

ومن أهم التعريفات التي وردت في الحجاج ما يلي:

1. تعريف بلاتين Plantin الحجاج عملية يبحث بها المتلفظ لنقل أو تحويل نسق معتقداته وتمثلاته للمخاطب عبر آليات وصيغ لسانية[3]. ويورد تعريفا آخر مفاده أن الحجاج نشاط او عملية لسانية بواسطتها يقوم المتلفظ بتقديم الملفوظ الحجة، بحيث تعمل النية اللسانية على توجيه المخاطب نحو مسارات محددة[4].

2. أما طه عبد الرحمن فيعرفه: "هو المنطوق او الملفوظ موجه على الغير لإقحامه دعوى مخصوصة يحق له الاعتراض عليها[5].

3. أما إيمرين وجروتن دورست F. H. Eemeren and Grooten Dorst فيعرفه كالآتي: "التحاجج نشاط لغوي اجتماعي وعقلي يسعى إلى تحقيق عملية الإقناع في إطار عقلاني نقدي إما بقبول دعوى كوجهة نظر، انطلاقا من تبرير مجموعة من القضايا، أو الاعراض على الدعوى كوجهة نظر مطروحة للنقاش بين طرفين"[6].

1- محمد الولي، **مدخل إلى الحجاج، أفلاطون**، برلمان، مجلة عالم الفكر، المجلد 40.

2- المرجع نفسه، ص 13.

3- Plantin, **Essai sur l'argumentation introduction de linguistique à la parole argumentative**, 1990, p 85.

4- عليوي أبا سيدي، **الحجاج والتفكير النقدي – مقاربة تداولية منطقية معرفية نقدية –**، ط1، دار نشر المعرفة، المغرب، ص 9.

5- المرجع نفسه، ص 10 بالرجوع إلى طه عبد الرحمن، **اللسان أو التكوثر العقلي**، الكويت، 2011، ص 14.

6- F. H. Eemeren and Rob Grooten Dorst, Op.cit, p 1.

ويتفق الدارسون على أن الحجاج موجود في أنواع الخطابات المختلفة لكنها تختلف من خطاب إلى آخر ومن نص إلى نص آخر من حيث الدرجة والمظهر والوظيفة.

ويعد الحجاج ممارسة لفظية اجتماعية عقلية بصياغة مجموعة من القضايا التي تبرر الدعوى عنها في الموقف أو تدحضها، فمجاله اللغة والمنطق، ولذا يفترض أن ننظر إليه – الحجاج – ضمن الإطار الكلي لعملية التواصل الإنساني[1]. والمقصود بالتواصل هنا التواصل الحجاجي الذي هدفه إقناع كل طرف بوجهة نظره.

وهكذا يصبح الحجاج إذن شكل من أشكال التواصل يسعى من خلاله المتكلم إلى تغيير التصورات والسلوكيات لدى المتلقي.

وهكذا يكون الحجاج سواء بمجمل المعاني اللغوية هو ذلك القول الذي يتنزل ضمن سياق جدالي يجمع بين طرفين أو أكثر وكل طرف يقدم ما عنده من حجج وأدلة قصد إفحام الخصم باللغة والبرهان، تحقق الفهم والإفهام وتستميل العقول والقلوب معا[2]. وبذلك يكون الحجاج هو فن الإقناع المؤسس على تقديم الحجج والأدلة باستحضار عدد من التقنيات التواصلية، أو اصطلاحا حيث يختلف الحجاج من حقل إلى آخر، ومن مجال إلى آخر، ففي الفلسفة له مفهوم، وفي المنطق، والقانون، وفي البلاغة، وهذا التنوع يعتبر عامل من العوامل التي جعلت مفهوم الحجاج ملتبسا يصعب الإحاطة به ومن هذه العوامل:

- تعدد مظاهر الحجاج وتنوعها ما بين الحجاج الصريح والضمني.
- تعدد استعمالات الحجاج وتباين حقوله.
- خضوعه للغة وقابليتها للتأويل ومرونة الاستعمال.

1- عبد الهادي الشمري، **آليات الحجاج وأدواته ضمن حافظ إسماعيل علوي، الحجاج مفهومه ومجالاته**، ط1، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، 2010، ص 79.

2- الحبيب أعراب، **الحجاج والاستدلال الحجاجي – عناصر استقصاء نظري –**، ضمن كتاب: الحجاج مفهومه ومجالاته.

ولكن عموما هناك جملة من السمات والخصائص التي ساعدت على تحديد مفهومه ومنها:

أ. الحجاج خطاب إقناعي إما بتدعيم موقف التلقي أو لتغييره.

ب. الحجاج جوهر من جواهر اللغة يوجد حيث توجد أي أنه يقتضي من المتكلم إيراد الحجج والاستدلالات العقلية بتقنيات لغوية[1].

وضمن هذه التحديات وردت جملة من التعريفات كأن يكون "كل منطوق موجّه إلى الغير لإفهامه دعوى مخصومة يحق له الاعتراض عليها".

وهو طريقة لاستخدام التحليل العقلي والدعاوي المنطقية التي غرضها فض النزاعات والصراعات واتخاذ قرارات محكمة، والتأثير في وجهات النظر والسلوك.

والملاحظ أن هناك نوعين من الحجاج في النظريات وتقنياته بلاغية منطقية غالية الإقناع، ارتبطت فيه البلاغة الجديدة بالحجاج ارتباطا وثيقا.

ونوع آخر لغوي يعتمد على الروابط اللغوية في لإقناع والمحاججة.

الاتجاه الأول يمثله برلمان وتيتكا والاتجاه الثاني فيمثله كل من ريكرو وأنسكرمير وبلانتان وسيأتي الحديث عنهم لاحقا.

1- كمال يوسف المغامسي، **الحجاج في الحديث النبوي – دراسة تداولية –**، ط1، الدار المتوسطية للنشر، تونس، 2016، ص 22.

المحاضرة الثانية

الحجاج والمرادفات ذات الدلالة الواحدة

تتشابك مع الحجاج مفاهيم عدة مثل: الجدل والبرهان والخطابة والحوار والبيان والاستدلال والمناظرة والإقناع وكلها تشترك معه في بعض الأمور وتفترق في أخرى وسنختار هنا ما تقترب منه ونستبعد تلك التي تبتعد عنه:

أ. الحجاج والجدل:

الجدل في لسان العرب طريقة في المناقشة والاستدلال[1]. والجدل هو اللدد في الخصومة والقدرة عليها، وهو مرادف للحجاج في كونه خصومة قائمة على إيراد الحجّة، والرجل المحجاج هو الجَدِلُ والتحاج هو التخاصم[2].

والجدل هو الخصومة والمنازعة في البيان والكلام وغايته الغلبة بالدليل والحجة.

وقد اعتبره أرسطو مبحثا فكريا وخاصية النخبة خاصة الفلاسفة لاعتمادهم على الحجج العقلية، حيث أنه "نمط حجاجي يدور على اختيار الأقاويل الخلافية خصوصا، وبالاختيار يقصد الجدلي على البحث في القول عما قد يسوغ نفيه، وهو نفي تختلف درجة صعوبته باختلاف أنواع القضايا موضوع الدرس"[3].

ب. الحجاج والبرهان:

البرهان نمط من أنماط الاستدلال يتميّز باليقين والقطعية والتقنين حيث ينتمي البرهان إلى مجال الاستدلالات الاستنباطية المنطقية والرياضية بينما ينتمي الحجاج إلى مجال

1- لسان العرب، ج11، مادة جدل، ص 105.

2- المصدر نفسه، ج2، مادة حجيج، ص 228.

3- هشام الريضي، **الحجاج عند أرسطو**، ضمن كتاب: أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى هيوم من إصدار فريق البحث في البلاغة والحجاج بإشراف حمادي حمود، كلية الآداب منوبة، تونس، 1999، ص 220.

الخطاب، فالحجاج لا يعني البرهنة على صدق قضية او إثبات شيء ما أو إظهار الطابع الصحيح لاستدلال ما من وجهة نظر منطقية[1]. ذلك أن الخطاب الطبيعي لا يعد خطابا برهانيا بالضرورة، لنه لا يقدم براهين أو أدلة منطقية ولا يقوم على مبادئ الاستنتاج المنطقي، أي أن المقدمات لا تفضي بالضرورة إلى نتائج حتمية، ويختلف البرهان عن الخطاب الحجاجي في أمور هي:

– العبارات البرهانية التي توجد مستقلة عن بعضها البعض وإذا تآلفت كان ذلك عبر علاقات وقوانين صورية لا تراعي معاني العبارات ومضامينها حيث يتم الانتقال عبرها وفق نسق صوري بحت. أما الحجاج والعبارات فهي تستجيب لاعتبارات داخلية مرتبطة بمعاني العبارات والملفوظات، كما يستجيب للظروف والسياقات التي تمحه طبيعته الحجاجية.

– الاستدلال البرهاني دليل واحد حتى تكون النتيجة مثبتة أو منفية غير محدودة ومتعددة دون أن تضر بالصورة الحجاجية، والنتيجة لا تلزم عن الحجج كما هو الحال في البرهان لكنها تزيد من مقبوليتها لدى المتلقي.

– يتميز باستقلاله عن الذات الإنسانية في بناءه وصياغته، أما الحجاج فلا تكون له معنى إلا إذا جاء في سياق تداولي تفاعلي بين أطراف الخطاب.

– الحجاج قد يكون في صورة ضمنية أما البرهان فيلزم التصريح.

– البرهان يهتم بترتيب الحقائق، في حين يهتم الحجاج بترتيب القيم الخاصة بالمحتمل والمحبّذ.

– البرهان إما أن يكون صحيحا أو خاطئا لا ثالث لهما، أما الحجاج فلا يقاس بمقياس الصواب والخطأ، وإنما بمعايير القوة والضعف والنجاح والفشل، والكفاية وعدم الكفاية لأن غايته ليست الصواب والصحة كما هو الحال في البرهان.

1– أبو بكر العزاوي، **اللغة والحجاج**، مؤسسة الرحاب، بيروت، لبنان، د.ط، 2009، ص 15.

وعليه يستفيد البرهان من الحجاج في صياغة استدلالاته في قال لغوي، كما يستفيد الحجاج من البرهان في طريقة العرض المتسلسل والمتماسك ولكنه ليس هو البرهان.

ج. الحجاج والمناظرة:

عرّف الخليل بن أحمد الفراهيدي المناظرة بأنها "المباحثة والمباراة في النظر، واستحضار كل ما يراه ببصيرته"[1]. بمعنى أنها تقوم على المنافسة والدرس والتأمل العميق وحشد الأدلة.

أما الصرحاني فيعرفها لغة واصطلاحا، فلغة هي: من النظير أو من النظر بالبصيرة، واصطلاحا هي النظر بالبصيرة من الجانبين في النسبة بين الشيئين إظهارا للصواب[2]. بمعنى أنها تصب في باب المجادلة المحمودة لأن غايتها إظهار الصواب.

أما بمفهومها الحديث فهي فعل لغوي تواصلي ذو صيغة تداولية يقوم على 3 عناصر:

- الإدعاء ويعني أنه يرتكز على وجود دعوى.
- التدليل ويعني وجود عرض دليل على الدعوى.
- المنع ويعني الاعتراض على الدعوى.

والمناظرة إذن هي محاورة بين فريقين حول موضوع لكل منهما وجهة نظر فيه مع الرغبة الصادقة في إظهار الحق والاعتراف به.

1- الخليل بن أحمد الفراهيدي، **العين**، تحقيق مهدي الحرومي وإبراهيم السامرائي، دار مكتبة الهلال، ج8، بيروت، ضمن كتاب: الحجاج في الحديث النبوي-دراسة تداولية-آمال يوسف المغامسي الدار المتوسطية للنشر،تونس الطبعة 1 مرجع سابق، ص 29.

2- علي بن محمد الجرجاني، **التعريفات**، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، بيروت، د.ط، 2002، ص 184، ضمن كتاب عبد الله صولا، **الحجاج في القرآن**، مرجع سابق، ص 29.

أما العلاقة بين الحجاج والمناظرة فهي علاقة ضرورية نظرا لاعتمادها على الحوار والاستدلال وآليات الإقناع في سبيل البحث عن الحقيقة والوصول إلى الصواب، وهي أقرب إلى الحجاج الجدلي من الحجاج الخطابي.

ولقد بلغت المناظرة في الثقافة الإسلامية درجة عليا عندما وضعت لنفسها نظرية خاصة قريبة من نظريات الحجاج التي سيأتي الحديث عنها لاحقا.

د. الحجاج والإقناع:

الإقناع عند توماس شايدل هو محاولة واعية للتأثير في السلوك، ويرى أوستين فريلي أن الحجاج والإقناع طرفين لعملية واحدة ولا يختلفان إلا في التوكيد، في حين يرى هوارد مارتن وكينيت أندرسيل أن كل اتصال هدفه الإقناع وهو مرهون بالشروط اللازمة لنجاح الخطاب الحجاجي، فكلما كان هذا الأخير ناجحا كلما امتلك قدرة أكبر على الإقناع، فالإقناع والاقتناع هما لب العملية الحجاجية إن كان اللفظ يهدف إلى تحقيق الإقدام او الإحجام بمعنى الغرض التداولي من الحجاج، حيث أن بيرلمان وتيتيكا يذهبان إلى أن إذعان العقول التصديق لما يطرحه المرسل او العمل على زيادة الإذعان هو الغاية من كل حجاج، وأقوى حجة هي الحجة التي تقوي الإذعان عند المستمع فتدفعه إلى الإقدام على العمل أو الإحجام عنه.

وإذا كان هناك من يتصوّر أن لا فرق بين الحجاج والإقناع وأنهما متلازمات في أي خطاب لأن الارتباط بينهما ارتباط بين الوسيلة والغاية، فإن هناك من يفرق بينهما ذلك أن الإقناع يخاطب العاطفة والخيال مما لا يدع مجالا للعقل وحرية الاختيار بخلاف الحجاج الذي يتوسط الذاتية والموضوعية لأنه يقوم على حرية الاختيار والعقل مع التأثير على العاطفة إضافة إلى أنه فضاء للحوار والنقاش لإفضاء للإلزام والإكراه، هذا ويستهدف الحجاج العامة من الناس والخاصة في حين يستهدف الإقناع الخاصة.

وبهذا ننتهي إلى أن هناك عدد من المصطلحات التي تدور في الجهاز المفاهيمي للحجاج وتشكل معه علاقات تساهم في تحديد مفهومه ومنها البرهان والجدال والمناظرة وهي مجموعة أدوات من الإقناع اللغوي.

هـ. علاقة الحجاج بالخطابة والجدل:

إن الفرق بين هذه الألفاظ ليس جديدا بل بدأ مع فلاسفة اليونان فهذا أفلاطون في فيدروش يرى أن الخطابة التي ينبغي أن يضعها الفيلسوف في الحسبان هي تلك المنضوية تحت مظلة الحقيقة بحيث تكون النتائج العملية التي ينبغي التوصل إليها من دراسة الوقائع نتائج تفرض نفسها على كل عامل. وعليه لا نكون في حاجة إلى الحجاج إذ تكون الحقائق والوقائع ظاهرة من تلقاء نفسها لا تحتاج إلى من يقدّمها ويحجج من أجلها ولذا كانت الضرورة ملحة عن البعض إلى وضع الأهواء والمصالح التي قد تتعارض مع العقل، وهكذا نكون أمام حجاجان: الأول وبه يخاطب الفيلسوف الخاصة أو النخبة وبه ينشد الموضوعية في مناقشة القضايا المشتركة. أما الثاني فغايته مخاطبة العامة أو المستمع لبلوغ ذروة الإذعان.

غير أن خصوم الخطابة الذين يرون أنه لا وجود لحقيقة واحدة ولا يؤمنون بوجود حقائق متناقضة يتصدى كل خطيب للدفاع عن حقيقته وكل حقيقة يؤمن بها جمهور ونتائجها العملية تفرض نفسها على كل عاقل، كما ذهب إلى ذلك أفلاطون في فايدروس Phèdre ولكن الفلاسفة الذين رفضوا أن تكون هناك نتيجة واحدة معقولة يذعن لها كل الناس أقحموا إلى جانب العقل الأهواء والمصالح التي من شانها أن تتعارض مع ما يمليه العقل، ذلك أن الحجاج باستطاعته أن يؤثر في الإرادة والإدراك (الأهواء) وبذلك يكون هناك نوعان من الحجاج الأول يخاطب جمهورا خاصا تكون غايته إسكات الأهواء فيكون أكثر ميلا للموضوعية في القضايا محل النقاش والثاني غايته دغدغة العواطف والتأثير في السامعين لتحقيق الإذعان.

ولعل أوضح مثال على هذا التقسيم ما ذهب إليه أرسطو في كتابيه: Topiques والخطابة Rhétoriques، ففي الأول ناقش الأطروحات مناقشة نظرية مجردة بعيدة عن كل ذات معينة وطرف بعينه، وفي الثاني (الخطابة) نظر في خصوصيات المتلقي للخطاب، وهذا الأخير خطاب غير معقول على عكس النوع الأول. وبذلك قد يكون أرسطو قد ميّز بين التأثير في الذهن (نظري) والتأثير في الإرادة (عملي) فيكون الأول موضوعا للجدل والثاني موضوع للخطابة. وهذا التمييز في نظر كل من بيرلمان وتيتيكا أغلوطة توقع أرسطو ومن يؤمن بفكرته في مأزق يبدأ من الإيمان بأن الإنسان مركب من ملكات منفصلة عن بعضها البعض انفصالا تاما: عقل من جهة وأهواء من جهة ثانية، ثم من الفصل بين العمل المبني على الاختيار والعقل وبالتالي التمييز بين سلوك الإنسان وممارسته لحريته فيصبح عمله ضرب من العبث واللامعقولية واللامسؤولية.

ولذلك يرى كلاهما أن الحجاج غايته التأثير الذهني الذي يتبعه التأثير العملي، وبذلك يجمعان بين الخطابة والجدل الأرسطيين.

إذن الحجاج عند برلمان وتيتيكا يختلف عن الخطابة من وجهين:

– نوع الجمهور فهو في الخطابة جماعة تستمع إلى الخطيب أما جمهور الحجاج فهو عام حاضر أم غائب وقد يكون بين شخصين متحاورين أو بين المرء ونفسه.

– **الخطباء القدامى:**

على الرغم من تضارب المصادر حول الخطباء الأوائل، حيث يذهب البعض إلى أن امبادوفكيس أولهم، ومنهم من ذهب إلى أن كوراكس وتيسياس أولهما جميعا، طبعا كلهم يرجع في ذلك إلى مصدر واحد وهو أرسطو، وأولئك الذين يأخذون بالرأي الأول يستندون على شهادة دبوجين اللائرتي وهذا الأخير يعتمد على مصادر أرسطية حيث يشير إلى أن "أرسطو يقول في كتابه السوفسطائيون: أن أمبادوقليس كان مبدع الخطابة وزينون مبدع

الجدل"[1]، والرأي الثاني وإن كان أصحابه يرجعون إلى شيشرون الذي بدوره يستند على رأي أرسطو بالعودة إلى كتابه بروتوس Brutus.

ولعل مساهمة امبادوقليس في إقرار الديمقراطية في مدينته كان أكبر عامل يجعل منه مؤسس الخطابة القديمة قبل أرسطو، وأنه علمها لتلاميذه إلى جانب الفلسفة والشعر والطب والسعد، أما كوراكس وتيسياس فقد تركا كتيبا في مضمون الخطابة ونظرية الشبيه. ولقد عرفا الخطابة على أنها صانعة إقناع، وبذلك بعيدا عن التشكيك في نسبة التعريف – أن كوراكس هو أول من وضع يده على الموضوع المركزي للخطابة وهو الإقناع، وهو المحور الذي يدور حول موضوع الخطابة وهدفها، ولعل هذا ما يتعلق باليقين والقطعية والتقنين حيث ينتهي البرهان إلى مجال الاستدلالات الاستنباطية المنطقية والرياضية بينما ينتمي الحجاج إلى مجال الخطاب، فالحجاج لا يعني البرهنة على صدق قضية أو إثبات شيء ما أو إظهار الطابع الصحيح لاستدلال ما من وجهة نظر منطقية[2]. ذلك أن الخطاب الطبيعي لا يعد خطابا برهانيا بالضرورة، لأنه لا يقدم براهين أو أدلة منطقية ولا يقوم على مبادئ الاستنتاج المنطقي، أي أن المقدمات لا تفضي بالضرورة إلى نتائج حتمية، ويختلف البرهان عن الخطاب الحجاجي في أمور هي:

– العبارات البرهانية التي توجد مستقلة عن بعضها البعض وإذا تآلفت كان ذلك عبر علاقات وقوانين صورية لا تراعي معاني العبارات ومضامينها حيث يتم الانتقال عبرها وفق نسق صوري بحث. أما الحجاج والعبارات فهي تستجيب لاعتبارات داخلية مرتبطة بمعاني العبارات والملفوظات، كما يستجيب للظروف والسياقات التي تمنحه طبيعته الحجاجية.

– يكفي الاستدلال البرهاني دليل واحد حتى تكون النتيجة مثبتة أو منفية غير محدودة ومتعددة دون أن تضر بالصورة الحجاجية، والنتيجة لا تلزم عن الحجج كما هو الحال في البرهان لكنها تزيد من مقبوليتها لدى المتلقي.

1– يوجين اللاترسي، **حياة الفلاسفة**، من كتاب السوفسطائيون.

2– أبو بكر القراوي، **اللغة والحجاج**، مؤسسة الرحاب، بيروت، لبنان، د.ط، 2009، ص 15.

– يتميز باستقلاله عن الذات الإنسانية في بناءه وصياغته، أما الحجاج فلا تكون له معنى إلاّ إذا جاء في سياق تداولي تفاعلي بين أطراف الخطاب.

– الحجاج قد يكون في صورة ضمنية أما البرهان فيلزم التصريح.

– البرهان يهتم بترتيب الحقائق، في حين يهتم الحجاج بترتيب القيم الخاصة بالمحتمل والمحبذ.

– البرهان إما أن يكون صحيحا أو خاطئا لا ثالث لهما، أما الحجاج فلا يقاس بمقياس الصواب والخطأ، وإنما بمعايير القوة والضعف والنجاح والفشل، والكفاية وعدم الكفاية لأن غايته ليست الصواب والصحة كما هو الحال في البرهان.

وعليه يستفيد البرهان من الحجاج في صياغة استدلالاته في قالب لغوي، كما يستفيد الحجاج من البرهان في طريقة العرض المتسلسل والمتماسك ولكنه ليس هو البرهان.

المسائل المختلف عليها في نظرية الحجاج:

تتفق نظريات الحجاج جميعها على موضوع واحد وهو طرق وكيفية إقناع المستمع أو المحاور ووحدات الإقناع وهي الحجج ولكنها تختلف فيما بينها في بعض الأسئلة الجدلية لتعريف الحجّة وعلاقتها بالبلاغة وعلاقتها بالمنطق وعلاقتها بالأخلاق. ففي الوقت الذي لا يوجد تعريف واحد للحجة وموضوع مشترك بينها من حيث علاقتها بالبلاغة، حيث يبدوان لأول وهلة موضوعان مترادفان وتارة متعايشان في علاقة غير ثابتة، فبعد أن كانت عند أرسطو مرتبطة بالتواصل أصبحت فن التعبير الجميل وآلية للفصاحة، أما حاليا فقد أخذت منحا ملبيا لأنها أصبحت تعني السطحية والتصنيع وإخفاء الحقيقة.

أما من حيث علاقتها بالمنطق ففي بعض النظريات تعتبر الحجة مختلفة تماما من الاستدلال أو البرهان، اما في بعضها الآخر فتمثل استدلال غير صوري وقد تكون استدلال حجة.

أما من حيث علاقته بالأخلاق فيتضح من خلال تعامل النظريات مع الحجة بصورة معيارية وبعضها بصورة تقييمية محايدة حيث بعض الحجج تستخدم للاستدراج وبعضها الآخر لا[1].

إذن نظريات الحجاج وإن تشابهت وتقاربت فيما بينها فإنها تختلف في تعريف الحجة وتكون غامضة في بقية المكونات، فمثلا حدود العلاقة بين الحجاج والبلاغة غير واضحة وكأنهما مترادفان قد يحل أحدهما محل الآخر وقد يتألقان في علاقة غير ثابتة وقد يرجع ذلك إلى التطور المتغير للبلاغة وما سبقت الإشارة أنها كانت عند أرسطو في بداياته الأولى شديد الارتباط بالتواصل ثم بعدها أصبح فن التعبير الجميل الذي يهتم بالشكل أكثرها الآن خطابا سطحيا متصنعا ساتر للحقيقة.

أما عن البرهان فقد اعتبرت بعض النظريات أن البرهان يختلف اختلافا تاما عن الاستدلال أو البرهان.

1- جميل حمداوي، **نظريات الحجاج**، شبكة الألوكة www.alukah.net، ص ص.18-19.

المحاضرة الثالثة:

بيئة ظهور الحجاج

لعل من أهم الأسئلة التي تطرح علينا بإلحاح هل ظهر الحجاج في بيئة معينة وهل هو محكوم بذلك بمعنى هل إذا توفرت شروط بذاتها أدت إلى ظهور الحجاج وازدهاره؟

يبدو واقعيا أنه لا الحضارة اليونانية أو الرومانية لم تكونا نقطة بداية ظهور الحجاج نظريا على الرغم من ظهوره كموضوع، لذا نجده ينبعث بين الفينة والأخرى تزامن مع المنطق والتواصل والإقناع أو البرهنة عموما إما على هامشها أو معارضا لها ورافضا لها خاصة المنطق الرياضي حيث تعرف الحجة من خلال مقارنتها بالاستدلال الصوري الرياضي أو بالبرهان، ولكنه لا يتطوّر إلا في إطار أشمل وهو التواصل وهذا الأخير لا يتطور إلاّ في رحمه لأنه يستدعي أكثر من طرف، ويستدعي في آن واحد الإقناع وآلياته.

كما أننا لا ننكر ظهور الحجاج وارتباطه بالعوامل الاجتماعية والسياسية كصور الديمقراطية في اليونان القديمة، وتطور أساليب الاستدراج ذات المنشأ الإيديولوجي[1].

ولكن بقيت الأسئلة المركزية في موضوع الحجاج ما تعلق بالأرضية التي مهدت لظهوره، والأسباب التي أدت إلى ذلك والبيئة التي ظهر فيها والتي شكلت تربة خصبة استنبتت فيها موضوعاته المختلفة والمتعددة.

وتعتبر الحضارة اليونانية والرومانية هي التي اتخذت موضوعا للبحث شهد سطوعا وأفولا، وعبر فترات متقطعة إلى أن بعث من جديد في العصر الحديث، وفي كل محطة من محطاته هذه يكون للخلفية الفكرية وللسياق الاجتماعي أكبر الأثر.

1- فليب بروتو، جيل جوتييه، **تاريخ نظريات الحجاج**، ترجمة محمد صالح ناجي الغامدي، مركز النشر العلمي جامعة الملك عبد العزيز، المملكة العربية السعودية، ط1، 2011، ص ص.13-14.

إن الخط البياني الذي يأخذ في الصعود والنزول بحسب تأثيرات علوم أخرى كالمنطق والتواصل والإقناع والبرهنة، وهذا لن يكون إلا في إطار أشمل عبر التواصل حيث يكون للحجة وزنا يؤكد على الرسالة وطريقة نقلها وتوصيلها وتقابلها، فالحجة شكل من أشكال التواصل ومحتواه سواء مصرّح به أو مضمر.

وهذا ما ذهب إليه أولئك الذين يؤكدون على أن نظريات الحجاج هي الرحم الذي حمل نظريات التواصل، في حين يذهب البعض الآخر إلى أن الحجة تظهر في لحظة تشكل علاقة بين عدة أطراف مؤكدين أن الحجاج ظهر كأساس لعلوم المعلومات والتواصل.

ومما يؤكد هذه العلاقة – التواصل والحجاج – يودنا إلى الإقناع باعتبار أن الحجة لها غاية إقناعية أصيلة تروم إقناع المتلقي برأي ما أو فكرة بعينها او سلوك معيّن، بآليات خاصة مشروعة غالبا ما تكون أخلاقية.

أما عن العوامل التي ساهمت في ظهور الحجاج خاصة العوامل الاجتماعية حيث يرى البعض أن الاهتمام بالحجاج يتصاعد في المجتمع العلماني في حين يرى فريق آخر أن الحجاج يمكن أن يتطور داخل مجتمع لا يفصل الدين عن الدولة والمجتمع إذا كان دين يتقبل الاختلاف ويعترف بحق الناس في المعرفة، وقد ينطبق هذا على الدين الإسلامي مع التفاوت في التطبيق في الدولة الإسلامية، وبمعنى آخر لا يمارس الحجاج في مجتمع استبعادي لا يؤمن بالاختلاف وعدم الاتفاق والمواجهة الخطابية اللغوية بعيدا عن العنف والقوة، ولذا تتطور نظريات الحجاج عند انتشار أساليب السيطرة السياسية الإيديولوجية[1].

1– المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

علاقة الحجاج بالأسطورة:

تروي الأسطورة اليونانية ذلك الصراع اللغوي الخطابي بين كوراكس وتيسياس ومفادها أن كوراكس يعلم الخطابة مقابل ثمنا مرتفعا، لكن اشترط عليه تيسياس أن لا يتقاضى أجره إلا إذا كسب الدعوى الأولى التي يترافع فيها وهنا سيلجأ تيسياس إلى مقياس الإحراج التالي:

– إن نجحت في إقناعي بألا أنا ل شيئا، ينبغي أن تؤدي ما عليك بما أنني سأكون قد وفيت بوعدي، وبالعكس إذا لم تستطع أن تتوصل إلى إقناعي، فلسبب أولي ينبغي أن تسدّد ما عليك في هذه الحالة أيضا.

ومن الأسطورة نستنتج أن هؤلاء آمنوا أن الإقناع يعلّم ويتعلّم وهذا يعني أنه نظريا أصبح مجموعة من القواعد والطرق لخطاب قادر على الإقناع، وهي "الخطابة" في نهاية المطاف خطاب نشأ من إرادة عملية تروم التفوق على الخصم ووحده، وهي نتيجة صراع كلامي سجالي ذو جوهر جدالي ومن هنا جاء الطابع الذاتي والنسبي الذي تنعدم فيه الحقيقة الثابت والذي يفتح المجال للتأويل والفهم الخاص والآراء متعارضة تقوى بحجج تقابلها حجج يمكنها التنفيذ.

للضرورة الملحة آنذاك لهذا النوع من النشاط جعل منها صناعة تفرض نفسها على الساحة تغري المتعلمين والمعلمين الذين قدموا مبالغ عالية حتى يتقنوا فن الإقناع بالقضية ونقيضها في آن واحد خاصة في المرافعات القضائية.

لقد جاءت علاقة الحجاج بالأسطورة كنتيجة للأسئلة الكثيرة التي طرحت حول الخطابة خاصة حول النشأة كيف وأين ومتى؟ إذ اتفق المفكرون والمؤرخون على أن الخطابة نشأت وترعرعت في أثينا ولكنهم اختلفوا حول موطن الولادة بين قائل بصقلية وقائل بغيرها[1]. ولكن يكاد يجمعون حول الأسباب التي أدت إلى ظهورها وهي ظروف سياسية عرفتها صقلية في

1– الحسين بنو هاشم، **بلاغة الحجاج – الأصول اليونانية**، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط1، 2014، ص 37.

القرن 5 ق.م من قتل وعنف وترحيل للمواطنين وتوطين للمرتزقة، وهذا ما قام به جيلون Gelôn حاكم مدينة جيلا Gélà الذي استقدم سكان مدينة كمارينا Kamarina بعد تهديمها وتوسيع مدينة سيراكوزا وبعدها بوقت قصير استوطن على مدينة ميغارا Mégara وأوبوا Euboea، وأدرج في سجل المواطنين ما لا يقل عن 10 آلاف جندي مرتزق ملكهم أراضي المواطنين الأصليين وهذا ما انتهجه هيرون Hieron في مدينة ناكسوس Naxos وكتانيا Catane، ونفس السياسة اتبعها ترالسيبون Thresybule ذلك الحاكم "الجائر السفاح الذي قتل دون ذنب عددا من المواطنين وبعد أن نفى عددا آخر بناء على تهم ملفقة قام بمصادرة أملاكهم"[1]. وكانت نتيجة الاستبداد والطغيان ثورات عرفتها مختلف مدن صقلية التي تستخلص الواحدة تلو الأخرى من طغاتها لتقيم جمهوريات ديمقراطية وتعيد الهدوء وتوزع الأراضي على مواطنيها بعد أن تخلصت من الهيمنة الأجنبية.

تذهب أغلب المصادر والمراجع أن الخطابة نشأت في رحم المحاكمات التي أقيمت من أجل استرداد الملكيات التي سلبت إبان حكم الطغاة، حيث ظهرت الحاجة إلى تعلم الخطابة للمدافعة أمام هيئة المحلفين بعد أن ظهر معلمون في هذا المجال، فانبثقت القواعد الأولى للخطابة والمعلمين الأوائل لها. وقد أشار إلى ذلك شيشرون في كتاب بروتوس Brutus حيث يقول: "يرى أرسطو أنه بعد طرد الطغاة من صقلية، استأنفت قضايا الخواص التي توقفت منذ أمد بعيد أمام المحاكم، وأن هذه الشعوب بما أنها بطبيعتها ذات مزاج صعب ميّال إلى النزاع، فإن مواطنيهم كوراكس وتيسياس مررا كتابيا بعض القواعد عن صناعة القول أمام الجمهور، ذلك أنّه يضيف أرسطو – لم يسبق لأحد من قبل أن أخضع الخطابات إلى أية صناعة ولا إلى أية قاعدة"[2].

1- Diodore, **Histoire universelle de Diodore de Sicile**, Tome III, trad : L'abbé : Terasson, chez de Bure l'ainé, Paris, 1741, p 93.

2- الحسين بنو هاشم، المرجع السابق، ص 36. وانظر:

Ciceron, **Brutus ou dialogue sur les orateurs illustrés**, trad : V. Verger, Œuvres.

وهناك مراجع أخرى تذهب إلى أن كوراكس الذي كان ضمن حاشية جيلون ثم هيرون بعده، بعد أن اندلعت المناوشات وعمت الفوضى لجأ إلى الكلام لتنظيم السلوك الإنساني وإلى الخطاب فبدأ بالتقدير والمراهنة وهو ما سماه الاستهلاك ثم بعد الهدوء.

تاريخ الحجاج، الأصول اليونانية والنشأة

الحجاج وإن زاد الاهتمام به في الآونة الأخيرة إلا أن له امتدادات قديمة خاصة عند اليونان والرومان ثم عند المسلمين بعدهم.

وفي المرحلة الأولى لا يمكن إنكار دور السوفسطائيين في بلورة الحجاج بفتح المجال للحوار والنقاش في المسائل الفلسفية والاجتماعية من جهة، والاعتراف بالخطاب المعاكس والتركيز على التفاعل اللغوي في العلاقات الاجتماعية بوصفهم حركة فكرية بارزة اهتمت بالبلاغة والبيان[1]، حيث برعوا في توظيف الأساليب البلاغية والخطابية بغية اكتساب تأييد الجمهور ومن ثمة الانتصار السياسي في أثينا الديمقراطية.

يدلي بذلك بيار فرنان Pierre Vernant في حديثه عن المدينة اليونانية وأساليب التحكم في الناس: "كانت الأداة الضرورية للفعل الأداة التي تمكن من السيطرة على الآخر، هي الكلام"[2]، ويلخصها في الجدل والمنطق والبلاغة. وبذلك تكون أثينا مولد النظرية الحجاجية التي أنشأها فيما بعد أرسطو في كتابه "الخطابة" التي هي عبارة عن إعادة صياغة للمباحث الحجاجية السابقة والمعاصرة له.

1- بلانتان كريستيان، **الحجاج**، ترجمة عبد القادر المصير، مراجعة عبد الله صولة، دار سيناترا المركز الوطني للترجمة تونس، 2010، ص 7.

2- جان بيار فرنان، **أصول الفلسفة اليونانية**، ترجمة جمال شحيد، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط1، بيروت، لبنان، 1987، ص 26.

لقد تعامل أرسطو وقبله أستاذه أفلاطون مع العديد من المعضلات الفلسفية والأسئلة السوفسطائية واستشكالاتها ومجادلاتها التي أثيرت عن طريق النزال الكلامي والمساءلة المسندة على فن القول وآليات الإقناع[1].

ومن بين تلك القضايا الفلسفية التي ناقشها اليونان في تلك الفترة، المعرفة ونسبيتها، القيم ونسبيتها، القوة، المنفعة، الخطابة، مهارات الإقناع، وتكاد تكون جميعها من المسائل التي أخذتها الفلسفة السوفسطائية بالبحث، وهذا جعلهم يذهبون إلى القول أن القول الجدلي أو الخطابة أسمى المعارف البشرية لأنه أساس بناءها وقوتها. يقول جورجياس: "إن حصول أثينا وموانئها – أي فضاءات الاقتصاد والتجارة – إنها بناء أصحاب القول لا أهل الصنائع"[2]. ذلك أن دور الخطابة كان في تكوين الخطاء وتعليمهم قواعد الجدل والحوار للخوض في قضايا السياسة والمجتمع والقانون وهي التي تؤهل الفرد لتعزيز الصنائع المختلفة كالطب والهندسة والمعمار... وغيرها[3].

لقد ساهمت هذه القاعدة في نصرة الحق والباطل على حد سواء، لنسبية القول وحرية القائل بعيدا عن أي مرجعية خارجية، أو سلطة يقين، إنما يعتمد على الإحقال والقول المتناقض حق مما يجعله أقرب إلى حرية الرأي والاختلاف.

لقد اختصت الخطابة السوفسطائية بالإقنا الموصول بمجالات الحياة المختلفة عند تنشئة المواطن وتشكيل الرأي العام. وقد قسم كوراكس – وهو سوفسطائي – الخطابة إلى أجزاء خمسة: المقدمة، السرد (عرض الوقائع)، الاستدلال، الاستطراد والخاتمة، وبالتالي يصبح ما هو مؤسس للخطابة مبادئ مؤسسة للبلاغة أو الحجاج.

1- عادل عبد اللطيف، **بلاغة الإقناع في المناظرة**، ط2، منشورات صفاف، ومنشورات الاختلاف، بيروت، الجزائر 2013، ص 29.

2- عادل عبد اللطيف، **بلاغة الإقناع في المناظرة**، ص 29.

3- آمال بن موسى المغامسي، **الحجاج في الحديث النبوي**، مرجع سابق، ص 43.

لقد ظلت أفكار السوفسطائيين مؤثرة فيمن جاء بعدهم خاصة في مجال الحجاج خاصة قولهم بالتضاد (تضاد الأصوات) Autophisme، حيث أن لكل خطاب خطابا مضادا، ولكل حجة حجة تنقضها نظرا لانطلاقها من وجهة نظر مخالفة، إضافة إلى التنبيه إلى ما قد ينجم عن الأقيسة من الأغاليط وهو ما يسمى بالبرجوكيسم أو القياس المغالطي.

ماذا أضاف الفلاسفة اليونان على الحجاج السوفسطائي وكيف حاججوا وما حقيقته عنده؟

لقد جاء سقراط ثائرا على النسبية السوفسطائية وعلى أغاليطهم في الألفاظ والأقيسة وقال بالماهيات والكليات ومن ثمة الثبات في الأشياء والجود معقد على منبع التهكم والتوليد، توليد المعاني والمعارف مستندا على الحوار والجدل، سبيله العمل بعيدا عن الذاتية التي تبتغي المنفعة والمصلحة الخاصة[1]، وكثيرا من محاورات أفلاطون تشهد على هذه الرؤية السقراطية لمنحنى الجدل السوفسطائي[*].

لقد كان سقراط يرى الحقيقة فيها تكمن في العقل الإنساني وليس خارجه، وما عليه إلا أن يتحمل داخل الذات حتى يدركها. أما أفلاطون فجاء بتصور فلسفي رافض للمحسود المتغير وغير الحقيقي مؤكدا على العقل وأهميته برهانيا ولذا وظف الجدل التوليدي مثل أستاذه كما بدى جليا في محاورة "جورجياس" و"فيدوس" وقد كان الجدل عنده هو المنهج الذي استعمله من أجل الارتقاء من المحسوس إلى المعقول إلى الخير الأسمى صعودا أو نزولا من الخير الأسمى إلى المحسوس.

1- تيودور إويزرمان، **تطور الفكر الفلسفي**، ترجمة سمير كرم، ط4، الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، 1988، ص 20.

(*) ارجع إلى محاورة أفلاطون بروتاجوراس في السوفسطائيين، ترجمة قرني، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2001، ص ...

إذن مما لاشك فيه أن الخطابة ومنها البلاغة نشأت في صقلية، ثم حملها السوفسطائيون إلى أثينا بعد أن أتقنوها ممارسة وعلما، حتى أصبحوا معلمين لها لتستوي عند أرسطو نسقا نظريا امتد إلى العصر الحديث.

والبلاغة هي دراسة لوسائل الإقناع يدل عليها مصطلح Réthorique اليوناني الأصل الذي عرّب إلى مصطلح أقرب منه معنى ودلالة وهو فن الخطابة أو علم الخطابة، مع التمييز بين الخطابة باعتبارها صناعة ينصب عملها على البحث في آليات اشتغال الخطيب والوسائل التي يستعملها لتحقيق الإقناع. والخطابة باعتبارها ممارسة من طرف الخطيب لتقيق الإقناع.

تجمع أغلب المراجع على أن ظهور الخطابة بصقلية يعود إلى الظروف السياسية التي عاشتها هذه الجزيرة في القرن 5 ق.م، حيث عاشت أحداثا ووقائع اتسمت بالعنف والقتل والترحيل للمواطنين وتشكيل فرق من المرتزقة منحوا حق المواطنة والملكية، كما كان الحال في زمن الطاغية جيلون Gelôn الذي رحّل شكان مدينة كامارينا Kamarina، بعد أن هدّمها إلى مدينة جيلا Géla، وفعل نفس الشيء مع مدينة ميغارا Mégara وأوبوا[1]. وهذا ما فعله بعده ثراسيبولوس Thrasybule، وكان نتيجة ثورات شعبية ضد الطغاة من السكان الأصليين والمرحلين ثم صراع ضد بعضهم البعض انتهى بطرد المعمّرين إلى ميسينا Missène.

لقد كانت المحاكمات التي عرفتها مدن صقلية لاسترداد الموانين أملاكهم التي سلبت إبان حكم الطغاة أمام هيئة المحلفين الشعبية دافعا مباشرا لتعلم الخطاب ومدعاة لظهور معلمين في هذا المجال ومن ثم انبثاق أولى قواعد الخطابة، وقد أشار إلى ذلك شيشرون في كتابه Brutus على لسان أرسطو: "يروي أرسطو أن بعد طرد الطغاة في صقلية استأنفت قضايا الخواص التي توقفت منذ أمد بعيد امام المحاكم، وأن هذه الشعوب بما أنها بطبيعتها

1- Grote G, **Histoire de la Grèce**, Traduction : A. L. De Sadous, Librairie internationale, Paris, 1865, p 17.

ذات مزاج صعب ميّال إلى النزاع، فإن مواطنيهم كوراكس وتسياس(*)، حرّرا كتابيا بعض القواعد عن صناعة القول أمام الجمهور، ذلك أنه يضيف أرسطو "لم يسبق لأحد من قبل أن أخضع الخطابات إلى أية صناعة ولا إلى أية قاعدة"[1]. في حين ذهبت مراجع أخرى إلى أن كوراكس كان من حاشية جيلون ثم هيدون بعده أدرك ماسكلام من قوة التأثير على الشعب وعلى السلوك الإنساني عامة، ومن البلبلة والفوضى والضوضاء إلى الهدوء والصمت إلى عرض المطلوب في نقاط قابلة للتداول ثم التلخيص السريع البيّن أمام الشعب، ولذا قسم خطابه إلى: استهلال مناقشات واختتام، وهكذا استطاع إقناع شعب سراقوسة وبذلك أصبح معلما لأبنائها هذا الفن.

إذا كان للظروف السياسية اليد الطولي في ظهور فن الخطابة، فإن الديمقراطية لنظام سياسي يتزامن وميلاد الخطابة، لما فتح الباب لحرية التعبير في قضايا الشأن العام وتوجيهه لتبني موقفا من المواقف في القضايا السياسية المطروحة وإقناع مجلس الشعب بإصدار قرار سياسي يروم أهدافا سياسية معينة، ولذا انقسم مؤرخو الفلسفة المعاصرون بين داعم للرأي الأول ومدافع عن الرأي الثاني.

فهذا بارت Barthes يقول: "ولدت الخطابة باعتبارها لغة واصفة من المحاكمات المتعلقة بالملكية"[2]. فإن آخرين ربطوها بالحرية والديمقراطية وتأسيس النظام الديمقراطي في المدن الصقلية، هو الذي فتح المجال أولا للمطالبة بالملكيات في إطار قضائي حول الحق بالمرافعة أمام هيئة المحلفين وإقناعها بشتى الوسائل". وقد قال في ذلك جيل دكليرك Gilles Daclerq: "إن أصالة الحكاية الصقلية تكمن في كونها تؤكد الضرورة الاجتماعية لوجود

(*) من أشهر خطاء صقلية آنذاك.

1- حمادي صمود، أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، الهيئة العامة لمكتبة الإسكندرية، كلية الآداب منوبة، تونس 36

2- المرجع نفسه، ص 22.

منهجية للحجاج، ولتعليم تقني قادر على معالجة ممارسة تجريبية للقول، لا تعمل سوى على كشف المهارة غير المتكافئة للناس في مجال الخطاب"[1].

وبذلك تكون الديمقراطية كنظام أسس على أنقاض الطغيان والاستبداد ومهدا نشأت فيه الخطابة ومورس سواء في المحاكم أو أمام مجلس الشعب، ثم نظر لها فأصبحت علما يدرس. وقد أشار الكاتب الروماني تاسيتوس Tacite إلى هذه العلاقة بين الديمقراطية والخطابة في كتابه حوار الخطباء وأوعز إلى تدهورها في بلاده إلى غياب الديمقراطية، وقد استمدت هذه الفكرة مع المفكرين المعاصرين أمثال أوليفيي ربول Olivier Reboul في كتابه "الخطابة" الذي نشر سنة 1998، وكذا رولان بارت Rolan Barttes، حيث ذهب إلى أن الحرية يجب أن تتوفر على مستويين مستوى الخطيب ومستوى المتلقي، الأول يطرح وجهة نظره ودعواه وبسط حججه دون منع أو تدخل أو الضغط والإكراه، والثاني يقبل أو يرفض دون إكراه، وهذا ما جعل بول ريكور Paul Ricœur يذهب إلى القول إلى أن الخطابة كصناعة ظهرت في صقلية وبلاد اليونان عندما استقر جورجياس في أثينا وعندما أضحت خطابا واعيا بذاته ودجه من الإقناع هدفا متميزا قابلا لأن يتحقق بواسطة استراتيجية نوعية[2].

ونستنتج من هذا النص النقاط التالية:

– دلالة على الصنع والإبداع والخلق أو الحركة والسلطة المطلقة للخطابة على الإقناع.

1– نفسه، الصفحة نفسها.

2– المرجع نفسه، ص 51.

– الثقة المطلقة في قدرة الخطابة على الإقناع في الحالات ومع ممن كان، وهذا بطبيعة الحال يتفق مع تعريف أرسطو عندما يقول: "الكشف عن الطرق الممكنة للإقناع في أي موضوع كان"[1]. ولكن تحته إخراج ما هو موجود بالقوة إلى ما هو موجود بالفعل.

بما كان الحق ما اعتبره الإنسان حقا، والباطل ما ظنه الإنسان باطلا.

أما سقراط فقد تصدى لهؤلاء واختلف معهم في موضوع المعرفة وكون الإنسان معيار الحقيقة الإبسيتمولوجية والإيتيقية.

وبعد سقراط جاء أفلاطون وعرّف الخطابة على أنها "صناعة قيادة النفوس بالقول"[2]. إلى الحق والخير والعدل، وهذا ما قاده إلى المقاربة بين السفسطة والطغيان حيث انتهى إلى أن "السفسطة حجاج استهواء، وهي تملق، والتملق نوع من العنف"[3].

أما أرسطو فقد أصل للأفكار والتصورات الحجاجية، حيث وضع لبنات مشروع قائم بذاته وأسس التصور العام للحجاج والمتمثل في أفكار ومفاهيم وممارسات حجاجية جديدة يرتكز على المسكن والمحتمل بعدما كان يرتكز على الحقيقة ومقصدة الخير والعدل والبر ويمتد إلى الاجتماعات الخاصة، حيث يستند على الوقائع وترتيب وحدات الخطابة ومقومات الأسلوب والبرهنة تستند على صورة الخطيب التي تبعث ثقة المتلقي، وبالتالي يكون القبول عاطفيا ونفسيا، وقد تستند على المتلقي ذاته ومدى معرفة الخطيب بنوازعه وعواطفه وميوله واختياراته.

وقد كان الوضع في المدينة اليونانية آنذاك التي كانت بحاجة إلى مواطن يشارك في الحياة السياسية، ولم تكن تهيء المتعلّم.

1– أرسطو، **الخطابة**، ترجمة عبد الرحمن بدوي.

2– هشام الريفي، **الحجاج عند أرسطو**، ضمن كتاب أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، ص 77

ومع الإسلاميين عرف الجدل خاصة مع علماء الكلام والفلاسفة، حيث تناول هؤلاء قضايا تعلقت بحقائق أصول الدين والعقيدة كالتوحيد والوعد والوعيد والمنزلة بين المنزلتين، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، واختاروا لذلك منهج الجدل والمناظرة من أجل الدفاع عن هذه الحقائق وإثبات وجهات النظر في المسائل السياسية والدينية التي فرضها الواقع السياسي، وهذا ما جعل ابن خلدون يعرف علم الكلام بأنه: "العلم الذي يتضمن الحجاج في العقائد الإيمانية بالأدلة العقلية، والرد على المبتدعة المنحرفين في الاعتقادات عن مذهب السلف وأصل السنة.

وقد قامت المناظرة والجدل على قواعد منهجية ضرورية مثل وجود المدعى والمدعى عليه ودعوى الاعتراض والدليل واستعمال المنطق والحوار والبديهيات والمسلمات بغية التأثير والإقناع.

اما عن أهم الفرق الكلامية التي مارست هذا المنهج الحجاجي: المعتزلة والأشاعرة، الفرقة الأولى فرقة عقلانية قدّمت العقل على النص، في معرفة الصواب من الخطأ، والخير والشر، والحسن من القبيح، كما آمنت بحرية الإنسان في خلق أفعاله ضد الجبرية القائلين بأن الإنسان مجبر على اختيار أفعاله خيرها وشرّها.

أما الأشاعرة فآمنوا بأولوية النص على العقل وقالوا بالكسب على مستوى الأفعال بمعنى أن الإنسان ليس حرا حرية مطلقة، وليس مجبر جبرية مطلقة [1].

لقد استدل إذن علماء الكلام إلى الجدل والقيل والبرهان والتأويل في قلب الظاهر واستكمال الباطن وتحويل الحقيقة إلى مجاز درء التشبيه والتجسيد والتشخيص وأبعاد قياس الغائب على الشاهد من أجل ما أمنوا به من أفكار سياسية وحقائق دينية.

1- جميل حمداوي، **من الحجاج إلى البلاغة الجديدة**، ص ص.16-17.

أما الفلاسفة الإسلاميين ومنهم الكندي والفارابي وابن سينا وابن طفيل، ابن ماجد وابن رشد فقد ذهبوا إلى أن الحقيقة لا تتحقق إلا عن طريق البرهان والنظر المنطقي والاستدلال العقلي دون إنكاره للحقيقة الشرعية.

ولعل هذا ما جعل الصراع يحتدم بين الفقهاء والفلاسفة مستعملين في ذلك الحجاج البرهاني والمنطقي الذي وضع أساسه أرسطو عوض الجدل الحجاجي الذي استعمله علماء الكلام وعوض الذوق والحدس والوجدان الذي استعمله المتصوفة في إدراك الحقيقة السرمدية خاصة أن لغتهم لغة خاصة تتجاوز الحس والعقل معا[1].

أما الدراسات الحديثة والمعاصرة فاعتبرت الحجاج موضوعا مستقلا بذاته ولكنه يتفاعل مع غيره من المجالات، كاللسانيات واللغة والفلسفة، وقد استعمل شاييير بيرلمان – 1984) CH. Perlman (1912 مصطلح البلاغة الجديدة كمرادف للحجاج الاستدلالي كتقنية خاصة ومتميزة لدراسة المنطق التشريعي والقضائي تحديدا وامتداداته لمجالات الخطاب المعاصر، ودراسة النصوص المكتوبة. وقد اعتبر أن تحليل الحجج البرهانية ذات الطابع العقلي فلسفيا أمرا ضروريا خاصة لأولئك الذين لا يخضعون للأهواء والنزوات، والخطيب له جملة من الملامح:

- التوجّه إلى مستمع.
- التعبير بلغة طبيعية.
- النتائج غير ملزمة.

وعليه يكون الحجاج عنده هو جملة من التقنيات والآليات البلاغية والمنطقية قد يدخل تحت لوائها جميع أنواع الخطابات التي تستعمل لسانا طبيعيا خطابيا وسنعود إلى الحديث عن هذه النظرية في المحاضرات القادمة.

1– المرجع السابق، ص 21.

هذا إلى جانب دراسة أخرى واتجاه آخر عرف بالاتجاه الجدلي التداولي مع دوغلاس والتون Douglas Walton وقد اهتم هذا الاتجاه بالبعد المنطقي واستخلاص القواعد والمعايير التي يستند إليها الدليل الحجاجي، وفهمه وتحليله ونقده وفرز الدليل الصائب من الدليل الضعيف وتصنيف الحوارات وتحقيق أهداف ما وهو الإقناع إقناع السامع[1].

أما أنسكومبر Anscombre وأزوالد ديكرو O. Ducrot اللذان وجها الحجاج إلى اللغة وما تحمله من وظيفة حجاجية تتجلى في بنية القول في حد ذاته من صوت وصرف وتركيب ودلالة.

ومن هنا تندرج هذه النظرية ضمن النظريات الدلالية الحديثة التي تقدم تصورا جديدا حول المعنى، وتجاوزه المشاكل المنطقية الكلاسيكية والوظيفة التواصلية للغة.

والحجاج اللغوي نسبي ومرن وسياق يختلف عن البرهان المنطقي والرياضي الذي يتصف بالحتمية والمطلقية[2].

وفي زاوية أخرى تواضع مجموعة من المنظرين الحجاجيين وخاصة روث أموسي Ruth Amosty نظرية جديدة أطلقت عليها اسم الحجاج في الخطاب، ثم بعدها ميشال مايير Michel Mayer وفايركلوت Fairclough وموشكلر Moeschler ودومنيك مانكو Maingueneau. وقد استهدفت هذه النظرية تحديد آليات الحجاج في خطاب ما مهما كانت طبيعته سياسيا أو فلسفيا أو أدبيا أو قضائيا... وهدفه أيضا مختلف الأدوات والروابط التي يبنى عليها الحجاج في الخطبة وكيفية إيصال رسائل المتكلم إلى السامع للتأثير عليه. ويكون مباشرا أو غير مباشر، ولذا يستلزم وجود ثلاثة أنواع: مرسل، مرسل إليه ورسالة.

1- أمينة الدهري، **الحجاج وبناء الخطاب في ضوء البلاغة الجديدة**، ط1، شركة النشر والتوزيع المدارس، الدار البيضاء، المغرب، 2010، ص 138.

2- أبو بكر الغزاوي، **اللغة والحجاج**، العمدة في الطبع، الدار البيضاء، ط1، 2006، ص ص.48-107.

وعليه تتميز هذه النظرية، نظرية الخطاب الحجاجي عن نظرية الحجاج اللغوي في أنها تعنى باستخراج الحجاج داخل النص أو الخطاب في حين تهتم النظرية الثانية بدراسة البنية الحجاجية في الألفاظ والجمل واللسانيات.

أما نظرية الحجاج المنطقي الطبيعي الذي هو منطلق لغوي يستعمل خطابا لفظيا تباديا بين متكلم يمتلك سلطة اللغة، ومستمع طبيعي خاضع لزمان ومكان وثقافة، ومن ثمة يكون كل خطاب يملك لغة طبيعية لها بعدا حجاجيا تقدم من المرسل إلى المخاطب في شكل خطاطة حجاجية في شكل تمثلات واقعية ومعرفية وذهنية يعاد بناؤها من جديد.

يمثل هذه النظرية جان بليز غرايس J. B. Grize، والمنطق الطبيعي عنده هو نسق من العمليات الذهنية التي تمكن فاعلا متكلما يوجد في سياق ما من اقتراح تمثيلات على مستمع ما بواسطة الخطاب[1].

هذه بصفة عامة مسيرة الحجاج الفلسفي منذ ظهوره إلى أيامنا هذه وجملة النظريات الكلاسيكية والحديثة، وسنفرد لكل نظرية حيزا من خلال ما يلي من محاضرات.

بين البلاغة الكلاسيكية والبلاغة الجديدة:

إن البلاغة الأرسطية بلاغة احتمالية وتعددية، تبني عليه الإقناع على عقلنة الخطاب دون إلغاء مبدأ إحداث التأثير بواسطة الأهواء، لذلك شملت جميع أنماط الخطابات، البرهاني والاستشاري والقانوني التي تحال على القسمة الثلاثية المعروفة للأنواع الخطابية وأعطت الأولوية للغة أو اللوغرس. وهذه المكانة التي احتلتها اللغة مع أرسطو تحولت عند شيشرون إلى الخطيب ليصبح في الصدارة باعتباره منظومة جمالية شاملة للغة والأخلاق قابلة للتأثير في السياسة والقانون، ذلك أن فن الخطابة عنده قام على قوة الخطيب البيانية من جهة، وسيرته الأخلاقية من جهة ثانية كنموذج يراد الاحتذاء به ممثلا للفضيلة.

1- جميل حمداوي، **من الحجاج إلى البلاغة الجديدة**، ص ص.50-51.

هكذا إذن تم الانتقال من عالم بلاغي متمركز حول اللغة عند الإغريق إلى عالم متمحور حول الخطيب عند الرومان، والفرق بين العالمين فرق بين فكر حر لا يلزم المتلقي إلا بقدر اعتقاداته وأفكاره وفق الطرح والطرح المضاد، وفكر رهني "المؤسسة الخطابية" خاضعة لتراتبية اجتماعية وسياسية وبذلك تكون كل بلاغة خاضعة لمفهومها حول الإنسان والفكر والتاريخ.

والبلاغة في العصر الحديث أخذت توجهين اثنين: توجه جدلي ظهر بارزا عند ديكارت في كتابه "خطاب المنهج" الذي صاغ في قواعد اللامنهجية ذات خطوات تحليلية على غرار النسق البلاغي الخمسة (مصادر الأدلة، ترتيب أقسام القول، الأسلوب، الذاكرة، الإلقاء) وتبدأ الخطوات المنهجية بالمسلمة وتنتهي بالتركيب مارة عبر التفكيك والبرهنة ولكنها منجذبة صوب التحليل الرياضي تحركها الرغبة في كشف جوانب التضليل والحدس والحقيقة في الإقناع وغايتها نتائج مضبوطة وصارمة.

وإذا كانت البلاغة في هذه المرحلة وفي التوحد الأول قد ارتكزت على مساءلة المجتمع لمسلمات ومحاولة عقلنة مجالاته وأدواره وتوضيح العلاقة بين الواقع والمتخيل. أما التوجه الثاني فقد انصب اهتمامها حول الأسلوب ولذا عرفت بالأسلوبية.

وفي منتصف القرن 20 ظهرت إسهامات Perleman و Groupe Mu، وهي الأعمال التي كان لها كبير الأثر في تجديد البلاغة ولو بتوجهين: 1) مسارات إحجاجيا معقولا. 2) إجراء أسلوبيا.

البلاغة المجازية عند برليمان Perlman:

وهي بلاغة لا تقتصر على الصور المجازية ولا على البرهنة الديكارتية الصارمة، وإنما هي بلاغة مجازية عقلانية خارج الأنظمة الصوتية للعلم واحتمالية دون تضليل، وهدفها دراسة التقنيات الخطابية التي تسمح بزيادة موافقة الآخر على الطروحات المقدمة بقصد قبولها والموافقة عليها.

يعيد برليمان اللغة إلى مشروع تأملي، والحجاج خطابا ذا استدلال منظم يبحث عن منطق للقيم، ومتوجه إلى متلقي كوني من جهة ومؤازر للآخرين من جهة ثانية، أو بعبارة أدق الحجاج بوصفه فعلا متصلا بسياق نفسي واجتماعي وثقافي وتقنيات مجازية مجردة (بمعنى حجاج قائم على حدود تتحرك بين البلاغة والجدل)، وهذا ما أدلى به في كتاب Traite de l'argumentation بمعية تيتكا Tyteca وقد تزامن هذا الأخير مع كتاب تولمين Toulmin وقد كان هدفه البحث عن منطق طبيعي ينسخ المنطق الصوري، لقد ظلت من أكبر البلاغات التي جددت البحث في الأسلوب بدمجه داخل إشكالات اللسانيات الحديثة.

المحاضرة الرابعة

موقع الحجاج من الخطاب الفلسفي

الفلسفة والحجاج:

الفلسفة استشكال وإشكال لمسائل تبحث عن حلول وإجابات، وهي ليست بحثا عن الحقيقة المنهجية أو نظاما صحيحا كليا، وما المشكلات إلا نظرة جزئية للحقيقة الوجودية، وكما ارتبطت الفلسفة بالوجود ارتبطت بالفكر ومنه عبّرت عن الفكر باللغة التي كثيرا ما كانت وسيلتها في التعبير والخطاب، واللغة ليس وظيفتها تبليغ التفكير وإنتاجه، وبناء المفاهيم الفلسفية فحسب إنما وظيفتها كذلك الحجاج كما يذهب إلى ذلك دوكرو O. Ducrot. والتواصل بين البشر لا يتم إلا من خلال الحجاج، كما أن الحجاج لا يقوم إلا بالتواصل، هذا من جهة ومن جهة أخرى أن الفلسفة عامة تسعى إلى الإقناع، إقناع الجمهور. ولذا وجب عليها أن لا تتجاهل المتلقي واعتقاداته، فالنص أو المتن الفلسفي بناء لقضايا وآليات تعبير واستدلال وأساليب منطقية وبلاغية من قياس وبرهان ومماثلة واستعارات... وغيرها. فالفيلسوف وهو يمارس فعل التفكير ينطلق من قناعة أن الفلسفة خطاب موجه إلى متلقي كوني، وإذا كانت هي بحث عن الحقيقة، فهي كذلك سعي إلى تحويل تلك الحقيقة إلى قناعة عامة. وهي إن كانت توظف أدوات البرهان المنطقي، فإنها سرعان ما تتخلى عن الصرامة المنطقية لصالح أدوات التبليغ والمناهج البلاغية والجدلية لتتجاوز الإقناع إلى الاستقطاب والتأثير واستفزاز خيال المتلقي ليشاركها الحركة الفكرية.

الحجاج والنص الفلسفي:

"من الضروري القول أنه لا تفكير فلسفي بدون عرض حجاجي، فالمضمون لا قيمة له داخل نسق فلسفي إلا إذا كان عليه برهان يقنع المتلقي الذي عادة ما يعاني السذاجة والسطحية في التفكير. وإذا كان الحجاج هو قوام النص الفلسفي الذي يتألف من عناصر ثلاث:

- أطروحات متباينة إلى حد ما، منها المصرح به والمضمن.
- حجج تدعم الأطروحات.
- نتائج يسلم بها الحجاج.

أما هدف النص الفلسفي من الحجاج فهو ان يجعل العقول تذعن لما يطرح عليها أو يزيد في درجة ذلك الإذعان. فأنجع الحجاج ما وفق في جعل حدة الإذعان تقوي درجتها لدى السامعين بشكل يبعثهم على العمل المطلوب، او ما وفق على الأقل في جعل السامعين مهيئين لذلك في اللحظة المناسبة[1].

إذا سلمنا أن الخطاب الفلسفي هو خطاب حجاجي غايته الإقناع والتأثير، يوظف أنواعا حجاجية عديدة منها المنطقي والبلاغي والواقعي... وتحديد البنية الحجاجية داخل النص الفلسفي يقتضي تحليل بنيته اللغوية ومكوناتها داخل النص ذاته وهذا ما جعل ثيرودو يذهب إلى القول: "إن الحجاج هو حاصل نصي عن توليف بين مكونات مختلفة تتعلق بمقام ذي هدف إقناعي"[2]. وكما ان لكل عملية حجاجية مكوناتها وهي بمثابة مؤشرات، كذلك الأساليب المنطقية لها مؤشراتها اللغوية، كما أن الأساليب الحجاجية البلاغية مؤشراتها.

وتتجلى هذه المؤشرات في العناصر منها:

- الروابط المنطقية والحجاجية.
- العوامل الحجاجية والأفعال...الخ.

1- عبد الله صولة، **أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم**، كلية الآداب، منوبة، تونس، مجلد رقم 1999/29، ص 299.

2- باتريك شارودو، **الحجاج بين النظرية والأسلوب**، ترجمة أحمد الوردني، ط1، دار الكتاب الجديد، 2009، ص 53.

ومن هن يمكن القول على سبيل الحصر أن الحجاجية الخطاب الفلسفي لا تخرج على أن تكون قراءة ذات مستوى بلاغي لفصم النص في مواضعه الحجاجية وآفاقه التأثيرية والإقناعية.

والفلسفة المعاصرة انفتحت أكثر من غيرها لكثافة خطابها الإيديولوجي والسياسي والثقافي، هذا إضافة لما شهده هذا الخطاب من صراع وانقسام وتعدد للثقافات والهويات ومنه الحاجة إلى الحوار في جميع مقتضيات الحياة الاجتماعية والسياسية وأصبح ابحث عن قواسم مشتركة لخطابات متنافرة تبسط سيادتها على الأجنبي والغريب من خلال تعبئة عقلانية لرسم الحدود وتعيين الفواصل وضبط المسافات والهوامش في صور القانون والاقتصاد والسياسة والأخلاق... [1].

أهمية الحجاج للدرس الفلسفي:

إذا كان الدرس الفلسفي الجديد يتأسس على المفاهيم والإشكاليات، فيصبح الحجاج أحد أعمدة التفلسف هدفه تحقيق الإقناع بمشروعية المفهوم أولا ثم مشروعية الأسئلة المؤسسة له وبذلك يؤدي الحجاج مهمة محورية داخل الدرس الفلسفي من خلال الوقوف على جملة المواقف التي تتوخى شرح المفهوم من زواياه المختلفة والمحتملة، وبذلك تصبح البنية الحجاجية ضرورة لفهم النص الفلسفي ومن ثم اكتساب المحاججة كمهارة تدفع صاحبها للتفلسف.

ولا يخفى على الكثيرين أن الدرس الفلسفي سيتطور كثيرا لو انفتح على درس الحجاج بشكل دقيق وعملي دون أن يتحول إلى درس تقني في تحليل الحجاج وصناعته، أن لا يفرع

1- عمار ناصر، **الفلسفة والبلاغة مقاربة حجاجية للخطاب الفلسفي**، ط1، الدار العربية للعلوم ناشرون، لبنان ومنشورات الاختلاف، الجزائر، 2009، ص 169.

الدرس الفلسفي من عمقه والحكمة منه وأن لا تحتل المنهجية حيزا كبيرا طاردا للدرس الفلسفي[1].

والاهتمام بأساليب الحجاج في الدرس الفلسفي اهتمام وظيفي ينطلق من استحالة الفصل في الخطاب الفلسفي بين الأطروحات والمواقف والحجج التي تؤسسها، ومن ثمة لا تدرس هذه الأساليب لذاتها بل في علاقتها بسياقاتها الديداكتيكية في الدرس.

إن الدرس الفلسفي الراهن يتوخى أهدافا ثلاث:

المفهوم والإشكالية والحجاج وهذا يعني تحقيق العمليات الثلاث المفهمة والمشكلة والحجاج، فالمفهمة تحقق بناء المفهوم، والمشكلة تحقق بناء وصياغة الأسئلة اعتمادا على أطروحات فلسفية، أما الحجاج فيهدف إلى الإقناع بمشروعية المفهوم والأسئلة من جهة وتقديم أدلة على حقيقة الخطاب الفلسفي من جهة ثانية.

وبعد أن تبين أن اعتماد الآليات والأدوات المنطقية في تحليل الخطاب محدود، ذلك أن تحليل الخطاب يعتمد أساسا على اللغة الطبيعية لأنه لا يمكن معرفة مضمون ودلالة الألفاظ التي يتم استعمالها في إنتاج الخطاب وتوظيفه بغية التواصل، فهناك زخم لغوي لا يمكن التحكم فيه وهذا ما يغطيه الحجاج وما دعا إلى الاهتمام به في الآونة الأخيرة.

وما يهم هناك هو تلك الادوار التي يقوم بها الخطاب كأداة حجاجية عندما يوظف لإثبات فرضية فلسفية في الدرس الفلسفي وإقناع المتعلمين بأهمية أطروحة فلسفية أو الدفع بهم إلى تبني موقف فلسفي، وهذا ما يبدو جليا من خلال الوضعيات الثلاث (إثبات، إقناع، تبني) والتي تحدد وظيفة الحجاج الديالكتيكية في الدرس الفلسفي[2].

1- الحجاج الفلسفي وتطبيقاته النصفية، مادونا طربية "في كتاب الدرس الفلسفي" 05/07/2010 socrazein.wordpress.com.

2- **تنمية القدرات الحجاجية في الدرس الفلسفي**، فاطمة كركي وفاطمة ختافر 2010/06/28 Socrazein.wordpress.com.

الوضعية الأولى:

تهتم بالخطاب من حيث كونه حامل لحجج تتشكل من أراء وأفكار ومفاهيم يقدمها المتلقي على أساس أنها دعامته الأساسية التي يعتمدها كخطاب فلسفي يتوخى إعطاء مشروعية لما يقدمه.

الوضعية الثانية:

وهي وضعية الإقناع والمطالبة به وبصحة وحقيقة ويقينية هذه القضايا.

الوضعية الثالثة:

وهي وضعية التبني والتي يطالب فيها الخطاب بأوليته المطلقة على الخطابات الأخرى ودعوة المتلقي إلى تبني موقفه الفلسفي.

وهذه الوضعيات الثلاث تتطابق مع الوضعيات الثلاث لتحليل الخطاب الفلسفي (المفهوم، الإشكال، المناقشة أو المجادلة)، ولها أهداف ثلاث ترتكز على قضية أساسية وهي: اكتساب المتعلم مجموعة من المهارات والكفاءات المنهجية والتواصلية حتى يكون قادرا على الإبداع من خلال معالجة ومناقشة أي موقف فلسفي، أي أن يكون قادرا على تفكيك الخطاب الفلسفي إلى مفاهيمه وقضاياه وأطروحته وأسئلته في مرحلة أولى، ثم يقوم بعد ذلك باتخاذ موقف إيجابي بتبني أطروحة ما يعرض عليه أو أطروحة مغايرة وأن يكون قادرا على الدفاع على اختياره لهذه الأطروحة دون غيرها.

مثال:

يقول ديكارت في نص له: "إن الإنسان هو الكائن العاقل والمفكر الوحيد، وهذا يجعل منه الكائن الوحيد الذي يتكلم". إذا أردنا أن ندرس هذا النص اعتمادا على الوضعيات الثلاث فنجد:

الوضعية الأولى: وضعية الإثبات: يعتمد النص في اتساق وانسجام مفاهيمه وقضاياه وآرائه على تعارض بين الإنسان والحيوان مما ينتج هذه الأزواج المفهومية:

- العقل / غياب = الانفعالات
- الوعي / البرمجة / الانفعالات
- الكلام / الحركات الطبيعية
- الإبداع / التقليد.
- الشخوص المفهومية: الصم، البكم، القردة، الأطفال البلهاء، الأغبياء، الببغاء، الحيوان، الإنسان.
- الآليات المفارقة: المماثلة، النقد، استعمال المثال...

الوضعية الثانية: وضعية الإقناع: يريد ديكارت إعطاء المشروعية لإشكاليته وجعلها تتسم بطابع "الحقيقة" و"الصحة" وهو يعتمد بذلك على الدفع بالمتلقي إلى الانطلاق من ذاته كإنسان، ولذا يوظف تجاربه كمدخل لإبراز مشروعية الإشكالية التي تعالجها وهذا يظهر عندما يقول: "مما يستحق الذكر أنه ليس من الناس... منهم من لا يقدرون على تأليف كلمات مختلفة".

"لأن المرء يرى الببغاء تستطيع أن تنطق ببعض الكلمات مثلنا ولكنها مع ذلك لا تستطيع أن تنطق مثلنا".

"ولما كان من الملاحظ التباين بين أفراد النوع الواحد من الحيوان كما في أفراد الإنسان... فإنه لا يصدق أن فردا أو ببغاء من أكمل نوعه يكافئ في ذلك طفلا من أغبى الاطفال".

"أن تتفاهم معنا كما نتفاهم مع أمثالنا".

ولأن ديكارت يريد إقناعنا بأطروحته ينسج خطابه بواسطة الأمثلة والمقارنات.

الوضعية الثالثة: وضعية التبني: كما هو معروف فإن ديكارت صاحب مذهب فلسفي عقلاني، وهذا معناه أن النص الذي خصه لمسألة اللغة الهدف منه جعلنا نتبنى هذا الموقف

والذي يرجع في الحقيقة إلى الإيمان بالعقل وما يرتبط به من وعي وحرية وفعل... أي السمات التي تميز الإنسان باعتباره حيزانا عاقلا والتي صاغها ديكارت في قولته المشهورة: "أنا أفكر إذن أنا موجود".

وخلاصة القول أن ديكارت إلى جعلنا نتبنى الموقف الفلسفي الذي يؤمن بقوة العقل والفكر، لأن الإنسان هو الوحيد العاقل ولا منافس له.

نص لابن رشد:

"وإذا تقرر هذا كله، وكلنا نعتقد معشر المسلمين أن شريعتنا هذه الإلهية حق وأنها التي نبهت على هذه السعادة، ودعت إليها، التي هي المعرفة بالله عزّ وجل وبمخلوقاته وإن ذلك متقرر عند كل مسلم من الطريق الذي اقتضته جبلته وطبيعته من التصديق، وذلك طباع الناس متفاضلة في التصديق، فمنهم من يصدق بالبرهان، ومنهم من يصدق بالأقاويل الجدلية وتصديق صاحب البرهان بالبرهان، إذ ليس في طباعه أكثر من ذلك ومنهم من يصدق بالأقاويل الخطابية كتصديق صاحب البرهان بالأقاويل البرهانية... ولذلك خص السلام، بالبعث إلى الأحمر والأسود أعني لتصديق شريعته طرق الدعاء إلى الله تعالى، وذلك صريح في قوله تعالى: ﴿ادْعُ إلى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾. وإذ كانت الشريعة حقا، وداعية إلى النظر المؤدي إلى معرفة الحق، فإن معشر المسلمين نعلم على القطع أنه لا يؤدي النظر البرهاني إلى مخالفة ما ورد به الشرع، فإن الحق لا يضاد الحق بل يوافقه ويشهد عليه". ابن رشد فصل المقال.

أ. **موضوع النص:** دعوة الشرع للنظر العقلي.

ب. **إشكال النص:** هل المشرع والعقل متوافقان دائما؟ أم أن هناك ترجيح للنظر البرهاني أمام مواطن الخلاف؟

ج.**أطروحة النص:**

رغم تباين أساليب التصديق عند الناس (برهانية، جدلية، خطابية) إلاّ أنها تنتهي عند النظر البرهاني الذي يحث عليه الشرع الحق، في نفس الوقت يؤدي إتباع العقل إلى معرفة الحق مما ينتج عن ذلك توافق بين الشرع والعقل أو بين الدين والفلسفة.

د. **الحجج التي يدافع عنها النص:**

يؤكد ابن رشد على أهمية العقل وموافقته للشرع معتبرا أن الحكمة والشريعة توأمان تنهلان من نبع واحد هو الحق والحق لا يضاد الحق بل يوافقه ويشهد له، وكل منهما يسعى نحو غرض واحد هو السعادة.

هـ. **أنواع الحجج المستعملة في النص:**

– استخدم ابن رشد الاستنباط عبر الأساليب الشرطية (إذن... فإن).

– اعتمد على البرهان المنطقي الذي اعتبره الطريق الأسلم للوصول إلى الحق، وذلك لكي يبين عدم تناقض الفلسفة والشريعة من الأهداف والنتائج رغم تباين الوسائل. ويقدم لذلك أطروحة بطريقة منطقية عقلية كي يدافع عن العقل وعن حرية البحث، ولكي يثبت منطقيا وشرعيا ضرورة النظر البرهاني وفي ذلك محاولة توفيقية بين الفلسفة والدين.

والنتيجة المنطقية كانت كالتالي:

إذا كانت الشريعة حقا وداعية إلى النظر البرهاني، والنظر البرهاني مؤدي إلى معرفة الحق.

إذن الشريعة والنظر البرهاني حق[1].

1- http://www.philo.hijaj.net/philo.html.

أنواع الحجاج في النصوص الفلسفية:

أ. الاستنتاج أو الاستنباط:

وتسمى أيضا حجة البرهان الرياضي وهي الحجة التي يتم فيها الانتقال من البسيط إلى المركب، أي فكرة بديهية عامة لأخرى متضمنة فيها أو تستتبعها وتنتج عنها بمقتضى ضرورة منطقية داخلية وتعتمد البناء الرياضي ويمكن معرفتها من خلال الأساليب الشرطية. مثلا: لدينا... بما أن... فإن... إذن / إذا كان... فإن وبالتالي فإن.

ب. الاستقراء:

تدرج من الخاص إلى العام بالانطلاق من تعداد أمثلة واقعية والتركيز فيها على ما هو ثابت ومشترك قصد تعميمه.

ج. المماثلة:

إبراز أوجه تماثل او تشابه بين أربعة أطراف لوجود تناسب بين كل اثنين أو وجه شبه.

د. المجاز والأمثولة:

وهو المماثلة بين ما هو واقعي وما هو متخيل لتقريب المعنى المجرّد في تشبيه حسي.

هـ. الدحض:

وهو بيان لا معقولية أطروحة بإبراز تناقضها مع المنطق من جهة أو مع الواقع من جهة ثانية.

و. حجة البرهان بالخلف:

تقتضي وجود فكرتين متعارضتين، الثانية تعمل على نقي ودحض وتنفيذ أطروحة الخصم الأولى، وذلك بإظهار ضعفها أو عدم صلاحيتها.

ز. حجة البرهان المنطقي:

بمعنى الانتقال من مقدمات وقضايا للوصول إلى نتائج.

ح. حجج بلاغية:

توظيف التشبيه، المجاز، الاستعارة.

وقد يعمد إلى فهم النص الفلسفي انطلاقا من السؤال، كأن يطرح السؤال كالتالي: حلل وناقش النص التالي بصياغة أسئلة تهدف إلى:

1. فهم النص بطرح أسئلة من نوع: عما يتحدث هذا النص؟ ما هو المفهوم المركزي في هذا النص؟ هل تجد في النص مفاهيم فرعية متناقضة، استخرجها على شكل أزواج؟
2. الانخراط في تحليل حجاجية النص عن طريق أسئلة من نوع: هل يقدم النص موقفا موحدا او مواقف متعارضة؟ وأسئلة تتعرض لأسلوب تقديم الحجج ومبررات الأمثلة وغيرها.
3. الانفتاح على العالم اليوم عن طريق سؤال المتعلم عن رأيه في الموقف الذي يدافع عنه النص.
4. يطلب من المتعلم صياغة أجوبة على شكل إنشاء فلسفي "عملية تحليل النص"[1].

1- أبو الوليد الباجي، **المنهج في ترتيب الحجاج**، تحقيق عبد المجيد تركي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط3، 2000، ص 30.

النص الحجاجي:

لقد أثار النص عموما إشكالات عديدة على مستوى اللغة والفكر ذلك أن نص إنما يتشعب من خلفية إلى أخرى ومن نزعة إلى أخرى.

فالنص لغة من (نصص) يدل على الوضع بشقيه الحسي والمجرد، كما يدل على أقصى الشيء وغالبه كنص الناقة، وهو استخراج أقصى ما تستطيعه من سير، ودلالة النص التعبير، وهو في علم الحديث الإسناد والتوقيف والتعيين، يقول ابن منظور: "النص رفعك للشيء، نص الحديث ينصه نصبا رفعه وكل ما أظهر فقد نص، وقال عمرو بن دينار ما رأيت رجلا أنص الحديث من الزهري، أي أرفع له وأسند يقال نص الحديث إلى فلان أي رفعه"[1]. وهكذا يصبح معنى النص لغويا الرفع والإظهار.

اصطلاحا فقد لوحظ تناقض بيّن بين التعريف الغربي والتعريف العربي للنص، فالجرجاني مثلا يذهب إلى أنّ: "ما ازداد وضوحا على الظاهر لمعنى في المتكلم وهو سوق الكلام لأجل ذلك المعنى"[2].

فالنص بهذا المعنى يقصد به الوضوح، وضوح المعنى المقصود من المتكلم. أما في الفكر الغربي سواء الحديث أم المعاصر فقد اختلفت المسارات والاتجاهات واختلفت معها التعاريف ومن بينها:

1-الاتجاه البنيوي: وهو اتجاه يحدّث النص عن كاتبه وعن سياقاته التاريخية والاجتماعية والنفسية، ويركزون على ما أسموه البنية النصية، ويتعاملون معه على أنه نسيج محكم بعيد عن كل مرجعية وسياق ثقافي. وقد ذهب إلى ذلك تودوروف عندما اعتبر النص مستقل ومغلق، كما يتطابق مع كتاب قد يتطابق مع جملة. ويرى غيره كبرينكر مثلا أن

1- ابن منظور، **لسان العرب**، دار صادر، بيروت، ج8، ص 366.

2- الشريف الجرجاني، **التعريفات**، مكتبة لبنان، ص 26.

النص علامات لغوية قد تكون مركبات من علامات لغوية، لأن النص بنسب كبرى من وحدات صغرى متماسكة من أجزاء متماسكة"[1]. فالمفردة مثلا لا معنى لها خارج النص.

2-الاتجاه السيميائي: يرى هذا الاتجاه أن النص ينفتح عل دلالات عدّة لأنه يتداخل مع غيره ويتعانق مع نصوص أخرى والتناص إلاّ أسمى صورة لذلك، وبذلك يصبح النص:

– إعادة توزيع عن طريق التفكيك والبناء وبذلك اقترب من المنطق أكثر من اللغة.

– تناص حيث تتقاطع أقوال عديدة من نصوص أخرى حيث يحيد بعضها وينقص البعض الآخر.

3-الاتجاه الاجتماعي (علماء اللغة الاجتماعيين): لقد ربط أصحاب هذا الاتجاه النص بمرجعيته الاجتماعية التي نشأ فيها وذهبوا إلى القول أن النص عبارة عن "بنية دلالية تنتجها ذات ضمن بنية نصية منتجة في إطار بنية أوسع اجتماعية وتاريخية وثقافية"[2].

بناء النص الحجاجي:

1. يتضمن النص الحجاجي المراحل التالية:

أ. المقدمة

ب. التوسيع

ج.الخاتمة.

2. أو يتضمن خطة عناصرها:

أ. التمهيد Introduction

ب. الفرضية (القضية) La thèse

ج.التغير والتحول La transition

د. نقيض القضية L’antithèse

هـ. الاستنتاج La conclusion

1-

2- عثمان أبو زيد، **نحو النص**، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1، 2010، ص 139.

3. أو يتضمن العناصر التالية:

أ. الفكرة الرئيسية التي تعرض.

ب. وجهة النظر التي ستكون موضوع البرهنة.

ج.الحجج والبراهين التي تؤكد الفكرة الرئيسة.

د. الشواهد والأمثلة.

4. النص الحجاجي البراهين فيه لابد أن تعتمد على المثال الحسي واحد أو اثنين على الأكثر.

5. ترتيب الأفكار موصولة ببعضها البعض.

6. الانتقال من فكرة إلى أخرى.

7. الاستعانة بالأمثلة الحسية التوضيحية.

8. الاهتمام بالعلاقات الذهنية الأساسية مثل:

أ. الجمع بين أ أو ب

ب. الاختيار بين أ وب

ج.التضاد بين أ وب

د. السببية أ سبب ب

9. استخدام بعض الصور البيانية.

10. شيوع التكرار والعبارات المتضادة.

المحاضرة الخامسة

النظريات الحجاجية

تمهيد:

هنالك مجموعة من النظريات والاتجاهات الحجاجية التي ظهرت منذ القدم إلى يومنا هذا، فما هي هذه النظريات الحجاجية؟ وما هي تصوراتها؟ وما هي مميزاتها النظرية والتطبيقية؟ وما هي آلياتها ومقارباتها الحجاجية في تحليل النصوص والخطابات إجراءً وتطبيقا وتوظيفا، وهذا ما نبتغي استبيانه فيما يأتي:

نظرية الحجاج الجدلي:

ما المقصود بالحجاج الجدلي وماهيته وما طبيعة تصوره؟

إن الجدل فلسفيا معناه الحوار القائم على مجموعة من القواعد، ويضم طرفين أساسيين وهما: "المجيب" وهو الذي يدافع عن ادعائه المطروح للنقاش، والطرق الثاني وهو "السائل" وهو الملزم بالاعتراض على هذا الادعاء، والجدل باعتباره لعبة حوارية خاضعة للربح والخسارة، أطروحة نظام فلسفي يختلف عن الخطابة التي تستند على أطروحة سياسية واجتماعية، وهو تقنية للحوار التفاعلي من خلال "السؤال" و"الجواب" بين أطراف متساوية في الحقوق والواجبات هدفها التحقق من صدق القضايا المطروحة. ولذا اشترطت العملية الحوارية هذه حرية التعبير في أقصى درجاتها من خلال قواعد مصرح بها ومتفق عليها[1].

والجدل أو الديالكتيك هو استعراض الأفكار المتناقضة حول موضوع معين، وتبادل الأفكار وجهات النظر من أجل الوصول إلى الحقيقة مستندا على المنطق والاستدلال، وقد عرف عند هيجل وماركس وبني على الأطروحة والنقيض والمركب مفسران به تغير

1- عليوي أبا سيدي، **الحجاج والتفكير النقدي – مقاربة تداولية منطقية معرفية نقدية**، ط1، دار نشر المعرفة الرباط، المغرب، 2014، ص 91.

المجتمعات واختلاف الطبقات الاجتماعية، واتخذ فيما بعد دلالة على التناقضات المادية ومؤشرا على الحركية والديناميكية والتغيير والصيرورة.

لم يكن ظهور الجدل مع هيجل إنما تبلور اصطلاحا مع زينون الإبلي ثم انتعش مع سقراط وأفلاطون والسفسطائيين، فمنهم من استعمله للإقناع ووسيلة للوصول إلى الحقيقة. وهناك من استعمله للتضليل والتشكيك وتعقيم الحقيقة كالسوفساطئيين الذين ظهروا في مجتمع سادت فيه الديمقراطية وحرية الرأي وازدهار الخطابة والجدل السياسي لإقحام الخصم السياسي، مما جعله بحاجة إلى تعلم الخطابة والجدل.

أما سقراط فقد جاء لدحض آراء السوفسطائيين ومنهجهم في الوصول إلى الحقيقة وسلك منهج التوليد والعقل والبرهان المنطقي، مؤكدا على هدف الفلسفة العقلي وليس المنفعة المادية والمكاسب الذاتية.

وبعد سقراط جاء أفلاطون ليؤكد على التصور الفلسفي العقلي المجرّد، وإن كان عقلانيا برهانيا يصبوا إلى إدراك عالم المثل، إلا أنه استعمل المنهج الجدلي التوليدي بدى جليا في محاوراته الفلسفية مثل جورجياس وبروتاجوراس وفيدروف، وهو المنهج الذي ترتقي به النفس من المحسوسات إلى المعقولات.

والجدل عنده طريقان، صاعد من العالم المحسوس إلى الغير الأسمى والعكس بالنسبة إلى الهابط.

وبعد أفلاطون عرف الإسلاميون الجدل خاصة مع علماء الكلام والفلاسفة، ومن الفرق الكلامية التي استعملته المرجئة والشيعة والخوارج والمعتزلة والأشاعرة والماتريدية، وقد اختار هؤلاء الجدل للدفاع عن عقائدهم بالمنهج الجدلي والمناظرة، في حين اعتمد الفقهاء المنهج الخطابي الظاهري. وقد أعاب على الفرق الكلامية استعمالها للمنهج التأويلي الجدلي الذي كان سببا في ظهور الفتن والحروب والفرقة.

أما الفلاسفة فقد استخدموا العقل والبرهان والمنطق مع اعترافهم بالحقيقة الشرعية، وبحثوا عن كيفية الدفاع عنها مقابل الحقيقة الفلسفية في الموافقة بين النص الشرعي والقانون الفقهي بما يسمح بالاشتغال بالفلسفة والمنطق.

لقد وظف لفلاسفة الجدل البرهاني والمنطقي الذي وضعه أرسطو وسماه بالأورغانون، ووظف علماء الكلام الجدل الحجاجي الذي سيبقى حاضرا في الثقافة الغربية حديثة ومعاصرة وفي خطابات عدة، سياسية وإعلامية وصحافية وفلسفية[1].

1- عبد الله صولة، **الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائهم الأسلوبية**، دار الفارابي، بيروت، لبنان، ط1، 2001، ص 40.

المحاضرة السادسة

الحجاج البلاغي الأرسطي

يعد أرسطو من الفلاسفة اليونانيين الأوائل الذين اهتموا بالبلاغة من خلال رؤية حجاجية، فخصها بنصين هما: الريطورتيا / البلاغة، والحجج المشتركة. فقسم كتاب البلاغة إلى 3 أقسام: قسم مفاهيمي يحدد فيه مفهوم البلاغة وموضوعها ومنهاجها وعلاقتها بالجدل، والقسم الثاني يتناول فيه نفسية الآخر (المتلقي) وكيفية التأثير فيه، أما القسم الثالث فيتناول صفات الأسلوب وآثاره النفسية والجمالية والحجاجية بمعنى أن الكتاب يتناول الثلاثي: اللوغوس، الايتوس والباتوس[1].

لقد فضل أرسطو البلاغة على المنطق لفاعليتها داخل المجتمع وفي الجدل وفي النقاش، أما المنطق فبحث علمي بعيد عن الحياة السياسية والاجتماعية، وهي خطاب حجاجي وظيفته التأثير والإقناع سلبا وإيجابا[*].

يؤسس أرسطو الحجاج على دعمتين أساسيتين: أولها الاستدلال، والثانية ما ينتجه من علم، فالاستدلال ينطلق من علم سابق ومعارف سابقة، وبهذا يمكن استعماله في الخطاب الفلسفي والبلاغي، أما الدعامة الثانية فتتمثل في البحث اللغوي وعلاقته بالإنسان والوجود.

وبهذا يصبح الحجاج البلاغي عند أرسطو نشاط خطابي وفعالية بلاغية تداولية تساهم في الحوار الفلسفي، وعادة ما يلجأ إليه لتحقيق الإقناع العقلي والعاطفي ومن ثم قيامه بالفعل[2].

لقد رفض أرسطو المنهج السوفسطائي والمغالطات، ودعا إلى بلاغة مركزها الحجاج منظور إليه كأداة تواصل وتفاعل مع فروع المعرفة الإنسانية.

1- حميل حمداوي، مرجع سابق، ص 26

(*) ارجع إلى أرسطو، **فن الخطابة**، ترجمة عبد القادر قنيني، إفريقيا، المغرب، ط1، 2008، ص ص.15-16.

2- حبيب أعراب، **الحجاج والاستدلال الحجاجي**، مجلة عالم الفكر، يوليو 2001، ص 127.

وعليه يمكن التمييز إذن بين قطبين متعارضين، الأول وهو الاستناد إلى الحقيقة الموضوعية يدافع عنها الفلاسفة يبني استنتاجاته على العقل والتجربة والقياس الكمي، وفي القطب المقابل يتبع الرأي Doxa، أو ما يسلم به الناس وما يبنون عليه اعتقاداتهم واستنتاجاتهم.

وإذا كان الضرب الأول موضوعي برهاني حججه ضرورية ولازمة مستقلة عن رغباتنا وأهواءنا، فالضرب الثاني ذاتي إقناعي أقيسته ليست ضرورية ولا ملزمة، تظهر فيه ألفاظ صوغية مثل: الأسرار، المشاهدة، البهجة والسرور، اللذة والحبور، والبوح، الرياضة، النور، البروق... وهو المعجم الذي هيمن على المقدمة.

مثال:

"فأما إن كان يوجد نحو آخر للعلم فإنا نخبر عنه بآخره. وقد نقول إنه قد يعلم علما يقينا بالبرهان أيضا. وأعني بالبرهان القياس المؤتلف اليقيني، وأعني بالمؤتلف اليقيني الذين نعلمه بما هو موجود لنا. إن كان معنى أن يعلم هو ما على ما وضعناه فقد يلزم ضرورة أن يكون العلم البرهاني من قضايا صادقة. وأوائل غير ذات وسط، وأن يكون أعرف من النتيجة وأن يكون أكثر تقدما منها، وأن يكون عللها. وذلك أنه بهذا النحو تكون مبادئ مناسبة أيضا للأمر الذي يتبين. فإن القياس قد يكون من غير هذه أيضا. وأما البرهان فلا يكون، إذ لا يحدث علما. أما أن تكون القضايا صادقة فقد يلزم من قبل أنه لا سبيل إلى أن يعلم ما ليس بموجود، مثال ذلك أن الفطر مشارك للضلع. وأما أن البرهان يكون من أوائل غير مبرهنة. فمن قبل أنه لم يكن يوجد السبيل إلى أن تعلم إذا لم يكن عليها برهان. وذلك أن معنى أن تعلم الأشياء التي عليها برهان لا بطريق العرض، إنما هو أن يقتني البرهان عليها. وأن يكون عللا أيضا وأن يكون أعرف وأقدم: أما علل فمن قبل أنا حينئذ نعلم متى علمنا العلة. وأما انها أقدم فإن كانت عللا، وأما أنها أعرف فلا بنحو واحد، أعني بأن تفهمها، لكن بأن تعلم أنها موجودة".

المعجم الحجاجي وهو الأقرب إلى المنظرة والجدل، ومن الألفاظ المهيمنة عليه: الحجة، البرهان، القياس، اللزوم، الترجيح، التبين، الاعتراض، الاعتقاد، التفكر، الشك، النظر، الاعتبار...

لقد كان ابن طفيل مقتنعا أن السبيل للتغلب على هذه المفارقة هو الاستعارة التي تجمع بين العوالم، والمقايسة التي تجرّ الغائب نحو الشاهد او المجهول نحو المعلوم، وتستخرج الممكن من غير الممكن[1].

في الحالة الأولى تكون البنية كالتالي:

يبدو أن الأمم قد وقع على هذا الشكل؟

أو ما المانع من أن يكون الشيء قد وقع على هذا الشكل؟

في الحالة الثانية تهيمن البنية:

إذا لم يكن من الممكن أن يقع على هذا الوجه فقد وقع على هذا الوجه؟

ولذا اقتضى البناء الحكايتي:

- تهيء ظروف عزلة حي بن يقضان عن الناس وإلى الأبد من فرضيات:
- تخلف طبيعي يؤيده العلم الطبيعي.
- تولد خارج العرف الاجتماعي ← التخلي عن الوليد بعد الولادة.

في الجواب عن السؤال الأول حاول ابن طفيل أن يبرهن على الفرضية التالية:

لو أن إنسانا نشأ على الفطرة خارج أي مجتمع إنساني سواء تولد طبيعيا من طين او شجرة، أو فصل عن المجتمع بعد ولادته لأمكنه أن يصل بصفاء قريحته عن طريق التجربة

1- أحمد النقاري، **التحاجج، طبيعته ومجالاته ووظائفه**، كلية الآداب، الرباط، 2006، ص ص.9-15.

والمعاناة إلى معرفة نفسه ومعرفة الكون والوجود على حقيقته، ول تحقق له ذلك لاكتشف تطابق العقول والمنقول أي الدين والعقل.

المحاضرة السابعة

الحجاج البلاغي الجديد أو الأرسطيون الجدد

لقد اتخذ مجموعة من الباحثين الحجاج البلاغي الارسطي قاعدة لهم لإرساء قواعد البلاغة الجديدة، وقد ساهم فيها كلا من التداولية المعاصرة ومع رائدها برليمان وتيتيكا. وقد قال عنها حافظ إسماعيلي علوي: "مثلت الحجاجيات اللسانية مجاوزة حقيقية لكثير من الأفكار التي تبلورت في إطارها لتتمكن بفضل ذلك من رسم معالم دقيقة لدرس جديد مستقل بموضوعها، درس ينطوي على نضج نظري يخرجه من دائرة النظريات الفلسفية ليلحقه بالممارسة العلمية اللسانية"[1].

لقد ساهمت بحوث برليمان وتيتيكا في كشف جوانب عميقة في الدرس البلاغي المعاصر من خلال كتاب البلاغة الجديدة وكتاب دراسة الحجاج، وقد نظر إلى الحجاج على أنه يتجاوز النظر فيما هو صدق إلى الاعتراف بالاختلاف وموضوعية الحوار واستمالة العقول (المتلقي) باعتماد وسائل التأثير[2].

ويتميز الحجاج عند برليمان بملامح خمس هي:

1. التوجه إلى مستمع.
2. التعبير عنه بألفاظ طبيعية.
3. مسلماته احتمالية.
4. الضرورة المنطقية.
5. نتائجه ليست ملزمة.

1- الحجاج، **مدارس وأعلام**، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1، 2010، ص 79.

2- محمد سالم، **الحجاج في البلاغة المعاصرة**، بحث في بلاغة النقد المعاصر، ط1، دار الكتاب الجديد المتحدة، ليبيا، 2008، ص 102.

وعلينا الإشارة إلى أن هناك نوعين من الحجاج البلاغي، حجاج يستعمل آليات وتقنيات بلاغية منطقية وهي مجمل الاستراتيجيات التي يستعملها المتكلم من أجل إقناع مخاطبه.

هذا وقد جدد بيرلمان وتيتيكا آراء أرسطو لإعادة الطابع الفلسفي الحقيقي لها بعدما كانت البلاغة محصورة في الإقناع فقط. وقد وضع بيرلمان لبنات الخطاب الحجاجي نظرية وتطبيقا، وكان هدفه فهم كيفية إصدار أحكام القيمة وقراءة النصوص قراءة بلاغية وليس على أساس التخمين والشك، ورصد فعالية الحجاج السياسي والاقتصادي والإعلامي والخروج بالصور البلاغية من الإمتاع والجمال والزينة إلى الإقناع[1].

وإلى جانب بيرلمان وتيتيكا تبلورت البلاغة الجديدة مع ستيفان تولمان Stephen Tolmen وشارل هامبلان Charles Hamblin، وقد اعتبر ما قدموه بلاغة جديدة لأنها تتعارض مع بلاغة الصور الفنية والمحسنات البديهية، ولكنهم استغلوا على القضايا الحجاجية ذاتها لكن في ضوء رؤية جديدة تقوم على اختيار الحجج المقنعة والمناسبة في موقف معين والبحث عن مختلف الوسائل الحجاجية التي تتضمنها النصوص المنوعة في علاقتها ببنياتها الخطابية. وقد اهتم بيرلمان بتجديد الخطاب القضائي وحل الصراعات الجدلية المتناقضة وبذلك يكون قد ربط بين الخطاب القضائي والبلاغة الحجاجية.

نظرية الحجاج المنطقي والطبيعي:

تنظر هذه النظرية إلى الحجاج باعتباره نشاطا منطقيا خطابيا، باعتبار اللغة هي الوسيلة المستعملة للتواصل، وهو نشاط منطقي لأنه يتمثل في مجموعة من العمليات الذهنية، وبالتالي ينتمي إلى المنطق الطبيعي، والحجاج عند غريز Grize مجموعة من الاستراتيجيات الخطابية لمتكلم يتوجه بخطاب إلى مستعف معين، من أجل تغيير حكم ما،

1- رضوان الرقبي، **الاستدلال الحجاجي التداولي وآليات اشتغاله**، عالم الفكر، الكويت، العدد 2، المجلد 40، أكتوبر- ديسمبر 2011، ص 85.

هدفه إنتاج خطاطات وتمثيلات عن العالم ولكن ليست كل غاية خطابية حجاجية بالضرورة[1].

إن نظرية غريز Grize تهتم بالإقناع العقلي الذي يرتبط بالمنطق الطبيعي أصلا، ومن هنا تبنى الخطاطة الحجاجية على وجود مواضيع مشتركة وقواسم معرفية بين أطراف الحجاج، ويعني المنطق الطبيعي للحجاج يهتم بدراسة المضامين وتبيان العمليات التي ينبني عليها الخطاب منطقيا.

ويتسم هذا المنطق بكونه منطقا للذوات المتكلمة ومنطقا للموضوعات وبعبارة أخرى يتمثل هذا المنطق في مجموعة من العمليات المنطقية الخطابية التي تمكننا من توليد الخطاطات والتمثيلات وإنتاجها[2].

لقد ربط هذا الاتجاه الحجاج بأفعال الكلام، حيث أن الهدف من الخطاب ليس الإخبار والحديث فقط، بل تغيير اعتقاد المتلقي ومواقفه وسلوكه، فقد كان معنى الخطاب سواء مع أوستين Austin (*) أو مع سورل Searl، انه أفعال كلامية تتجاوز القول واللفظ وتنبني على ثلاثة عناصر:

1. فعل القول (جمل مفيدة ذات مستوى صوتي وتركيبي ودلالي مثل أسكرك يا فاطمة).
2. الفعل المتضمن في القول مثل انتظري الورقة الجديدة.
3. الفعل الناتج عن القول مثل الحث، الإرشاد، التضليل...

ويمكن تقسيم أفعال الكلام حسب ما يقصد بها من أغراض إنجازية إلى:

1. التقريريات: تأكيد المتكلم لبعض الوقائع والأحداث مثل أنا فيلسوف وناقد.

1- أبو بكر الغزاوي، **من المنطق إلى الحجاج**، مجلة فكر ونقد، المغرب، العدد 61، سبتمبر 2004.

2- نفسه.

(*) أفعال الكلام 1962.

2. **الطلبيات:** توجيه طلب من المتكلم إلى المخاطب مثل "أخرج إلى فناء المنزل"

3. **البوحيات:** تعبر عن الحالة النفسية للمتكلم مثل: مللت من كورونا.

4. **الوعديات:** التزام المتكلم بإنجاز عمل مثل: أعدك برحلة إلى أدغال إفريقيا.

5. **التصريحات:** إعلان المتكلم بإنجاز فعل مستقبلي للتغيير مثل: سأعلن عن مشاريعي قريبا.

ضف إلى ذلك أن معاني العبارات اللغوية قد تكون صريحة وقد تكون ضمنية، الأولى تتضمن القوة الإنجازية، أما الضمنية فتنقسم إلى معنى عرفي (دلالة منطقية) ومعنى حواري (التزام حواري) (*)، ومعنى عام، وهذا ما عبّر عنه أحمد المتوكل: "تنقسم الحمولة الدلالية للعبارة اللغوية إلى معان صريحة ومعان ضمنية، وتعد معاني صريحة. المعاني المدلول عليها بصفة الجملة ذاتها، في حين تعد ضمنية لمعاني التي لا تدل عليه بصفة الجملة"[1].

وخلاصة القول أن الحجاج التداولي أو التداوليات كمبحث تجريبي له جذور فلسفية تستند إلى الأعمال الأولى لتشارل موريس (1938) لدراسة العلاقة بين العلامات ومن يستعملها.

أما التداوليات كمبحث عام باعتبارها تواصلا وحجاجا فلا تستقيم إلا بأعمال جملة من الدارسين أمثال "غريس" في منطق التواصل اللغوي، وأفعال الكلام عند "أوستين" وأبحاث سورلي الفلسفية في التواصل اللساني، وما كان لها من أثر على النظريات التواصلية والمعرفية. أما الانطلاقة فقد كانت مع أوستين الذي حدد القواعد الفلسفية واللغوية والأخلاقية للحوار.

(*) أفعال اللغة 1969.

1- أحمد المتوكل، **اللسانيات الوظيفية**، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط2، 2010، ص 28.

ويمكن إضافة أبحاث الفريسيين الجدد التي أطلقوا عليها "تداوليات الفهم وتأويل"، وقد تم توسيعها أيضا وبشكل متميز مع المدرسة الهولندية خاصة ضمن ما يسمى التداوليات الحجاجية للتواصل اللغوي[1].

1- عليوي أبا سيدي، **الحجاج والتفكير النقدي**، ص 29.

المحاضرة الثامنة

الحجاج اللغوي

نظرية الحجاج في اللغة تتعارض مع كثير من النظريات والتصورات الحجاجية، كالحجاج البلاغي مثلا أو المنطق الطبيعي، وتستند هذه النظرية على مبدأ أن اللغة وظيفة حجاجية، ويعني ذلك أن التسلسلات الخطابية محددة ليس بواسط الوقائع فحسب المعتبر عنها بالأقوال فقط، ولكن بواسطة بنية هذه الأقوال نفسها وبواسطة اللغوية التي تم توظيفها، ومن هنا جاء التمييز بين الاستدلال والحجاج باعتبارهما ينتميان إلى نظامين مختلفين: النطق والخطاب. فاستدلالا ما سواء كان على شكل قياس محلي أو شرطي لا يشكل خطابا بالمعنى الدقيق لمفهوم الخطاب.

فالأقوال التي يتكون منها استدلال ما مستقلة عن بعضها البعض يعبر عن قضية مستقلة يصف حالة أو وضعا واقعيا او متخيلا وبالتالي تسلسل الأقوال في الاستدلال لا يتأسس على الأقوال نفسها، ولكن على القضايا المتضمنة فيها. أما الحجاج فيتأسس على بنية الأقوال اللغوية وعلى تسلسلها واستغلالها داخل الخطاب مثلا:

- أنا متعب، إذن أنا بحاجة إلى الراحة.
- الجو جميل، لنذهب إلى النزهة.
- الساعة تشير إلى الثامنة لنسرع.
- عليك أن تجتهد لتنجح.

هذه الجمل تتكون من حجج ونتائج، فالتعب مثلا يستدعي الراحة ويُقنع بضرورتها، وهو دليل وحجة على الحاجة إلى الراحة والاستراحة ونفس الشيء ينطبق على الأمثلة المتبقية.

وللحجة في هطا الإطار قد ترد على شكل قول أو نص أو فقرة أو سلوكا غير لفظي، وقد تكون ظاهرة أو مضمرة بحسب السياق وهذا ما ينطبق كذلك على النتيجة والرابط الحجاجي الذي يربط بينهما مثلا:

- أنا متعب إذن أنا بحاجة إلى الراحة.
- أنا متعب، أنا بحاجة إلى الراحة.
- أنا متعب.
- أنا بحاجة إلى الراحة.

وتتسم الحجة بعدة سمات منها:

أ. الحجة سياقية:

إن السياق هو الذي يصيّر العنصر الدلالي، الذي يقدمه المتكلم باعتباره يؤدي إلى عنصر دلالي آخر – حجة، وهو الذي يمنحه طبيعته الحجاجية وبحسب السياق قد تكون العبارة الواحدة حجة أو نتيجة.

ب. الحجة سببية:

هناك حجج قوية وحجج ضعيفة وأخرى واهية وأضعف.

ج. حجج قابلة للإبطال:

إن الحجاج اللغوي نسبي ومرن وتدريجي وسياقي بخلاف البرهان المنطقي والرياضي فهو حتمي ومطلقا، أما العلاقة بين الحجة والنتيجة فهي علاقة حجاجية يرمز إليها بالشكل

ح ⟵ ن.

السلم الحجاجي:

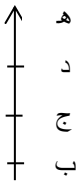

أما السلم الحجاجي فهو علاقة ترتيبية للجميع يرمز بها كالتالي:

وهو فئة حجاجية موجهة إلى نتيجة يكون كل قول هو دليلا أقوى بالنسبة لها (النتيجة)، وهو كذلك إلى جانب انتمائها إلى نفس الفئة الحجاجية تنمي إلى نفس السلم الحجاجي والسلم الحجاجي جملة من القوانين أهمها:

1. قانون النفي:

إذا كان قول ما "أ" مستخدما ليخدم نتيجة معينة فإن نفسه "أ" سيكون حجة لصالح النتيجة المضارة مثلا:

- زيد مجتهد لقد نجح في الامتحان.
- زيد ليس مجتهدا، إنه لم ينجح في الامتحان.

إذا قبلنا الحجاج الأول وجب قبول الثاني.

2. قانون القلب:

مفاده أن السلم الحجاجي للأقوال المنفية عكس سلم الأقوال الإثباتية مثلا قولنا:

- حصل زيد على المجستير وحتى الدكتوراه.
- لم يحصل زيد على الدكتوراه، بل لم يحصل على الماجستير.

إن عند حصول زيد على الماجستير هو الحجة الأقوى على عدم كفاءته من عدم حصوله على الدكتوراه.

3. قانون الخفض:

لقد اقترح أحد المناطقة المعاصرين صياغة تقريبية وردت كالتالي: إذا صدق القول في مراتب معينة من السلم، فإن نقيضه يصدق في المراتب التي تقع تحتها. وكما يرتبط مفهوم الوجهة او الاتجاه الحجاجي بالسلم الحجاجي ومدلوله أنه إذا كان قول ما يمكّن من إنشاء فعل حجاجي فإن القيمة الحجاجية لهذا القول يتم تحديدها بواسطة الاتجاه الحجاجي، وهذا الأخير قد يكون صريحا أو قد يكون مضمرا، وإذا كان هذا القول مشتملا على بعض الروابط والعوامل الحجاجية فإن هذه الأخيرة تكون متضمنة لمجموعة من الإشارات والتعليمات التي تتعلق بالطريقة التي يمر بها توجيه القول أو الخطاب، إما إذا كان القول غير معلم فإن التعليمات التي تحدد الاتجاه الحجاجي تستخرج من الألفاظ والعبارات والسياق التداولي والخطابي العام.

أما عن الروابط الحجاجية وعواملها، فاللغة العربية تشتمل على عدد كبير منها التي لا يمكن تعريفها إلا بالإحالة على قيمتها الحجاجية ونذكر منها: لكن، بل، إذن، حتى، لاسيما، إذ، لأن، بما أن، مع ذلك، ربما، تقريبا، إنما، ما، إلاّ...الخ.

إذن هناك صنفين من المؤشرات والأدوات الحجاجية:

- الروابط الحجاجية Les connecteurs.
- والعوامل الحجاجية Les opérateurs.

الروابط تربط بين قولين أو حجتين أو أكثر وتسند لكل قول دورا محددا داخل الخطاب العام.

أما العوامل الحجاجية فهي تربط بين متغيرات حجاجية أي بين حجة ونتيجة أو بين مجموعة حجج ولكنها تقيد وتحصر الإمكانات الحجاجية لقول ما، وأدواتها، ربما، تقريبا، كاد، قليلا، كثيرا، ما، إلا...

ويعتبر ديكرو هو أول من أدرج مفهوم العامل الحجاجي في مقالة نشرها في سنة 1982 بعنوان: "Note sur l’argumentation et l’acte d’argumenter"، وأعقبها بمقال في السنة الموالية بعنوان: "Opérateurs argumentatifs et visée argumentative"، وفيه فصل القول في هذه المسألة الحجاجية.

ويتضح العامل الحجاجي من خلال المثالين التاليين:

- الساعة تشير إلى الثامنة.
- لا تشير الساعة إلا إلى الثامنة.

عندما أدخلت أداة القصر: لا... إلا وهي عامل حجاجي لم يحدث اختلافا في القيمة الإجبارية أو المضمون.

المحاضرة التاسعة

الحجاج التداولي

من بين المدارس الحجاجية المعاصرة مدرسة ظهرت في شمال أمريكا وكندا مع الفيلسوف والمنطقي "آرت نايس"، من خلال أعماله التي نشرها في 1953، ولكن قبل الحديث عن دور هذه المدرسة علينا أن نحدد أولا:

مفهوم التداولية الذي يعتبر الخطوة الأساس للمعرفة العلمية وباعتباره مفتاحا للعلم. ولقد استعملت كلمة تداولية التي اشتقت من فعل تداول ويفيد التناقل بين الناس. ومعنى التداول هو أن يكون القول موصولا بالفعل[1]. كما تفيد التفاعل في التخاطب والممارسة.

وقد تجاوزت المجال اللساني إلى موضوعات الفلسفة التقليدية والمعاصرة التي مازالت تشغل بال الفلاسفة والمناطقة ومسألة الفرق بين الألسنة الطبيعي واللغات الاصطناعية والمنطقية والاستدلال الطبيعي والمنطقي الرياضي، واهتمامها بالحجاج وهو أهم موضوعاتها.

ويمكن تحديد مصادر النظرية التداولية في:

- مصدر فلسفي منطقي يعود إلى بيرس وموريس وفتنختستاين.
- مصدر فلسفي تحليلي يعود إلى فلسفة اللغة يمثله أوستين.
- مصدر لساني أسسه بنفنست Benviniste وبعده ديكرو وطوره كل من Anscombre وJean Claude.

وقد ساهمت هذه الإضافات معرفة أكثر للغة الطبيعية وإنتاج أسئلة جديدة وتطور ملحوظ في اللسانيات الجديدة وبالجوانب الموضوعية الخارجة عن اللغة كالسياق والمقام والمحاورين ومقاصيدهم وأفعال اللغة. ومع ظهور النظرية التعادلية تراجع المنطق في تحليل خطاب اللساني وبدأ الاهتمام بتحليل الأقوال.

المحاضرة العاشرة

1- نبيل حمداوي، **من الحجاج إلى البلاغة الجديدة**، ص 52.

تنحدر هذه الأخيرة من توجهين اثنين هما:

1. النزعة التداولية في اللغويات المعاصرة.
2. الخطابة الجديدة مع بيرلمان وتيتيكا.

وتمثلت مجاوزة الحجاجيات اللسانية للنزعة التداولية الكلاسيكية في تنسيق وتدقيق المشروع العام للتوجه التداولي في الدراسات اللغوية، في حين تمثلت مجاوزة الحجاجيات اللسانية لأبحاث الخطابة الجديدة في تعميق وتدقيق أطروحاتها المركزية، وهي التداخل بين الوقائع والذوات المتفاعلة حجاجيا وهذا ما أكد عليه برلمان وتيتيكا التداخل القائم ين المتكلم والمخاطب والمعايير والقيم التي يزدان بها فضاء التواصل بينهما[1].

إن هذا التصور الذي بلورته الحجاجية اللسانية لم يكن ليتحقق دون الاستناد إلى خلفية منهجية ونظرية صلبة تمثلت في المنهج البنيوي، وعلى رأي دي سوسير من خلال كتابه دروس في اللسانيات العام، وقد طال هذا التوافق المنطلقات النظرية او المنظور العلمي الذي يؤطر لها ذو المرجعية البنيوية، فقد حدد ديكرو الدرس العلمي للحجاجيات اللسانية واشترط ان تكون الدلاليات اللسانية بنيوية والتحفظ بمعنى أن دراسة الجمل والملفوظات يجب أن تتم في استقلال تام عن التلفظ وما يتصل به من معطيات سيكولوجية او اجتماعية ينبغي تركها خارج الدرس في سياق هذا التوجه، يقول ديكرو في كتابه كلمات الخطاب: "حين أقول أن كتابنا يدرس الملفوظات من زاوية التلفظ، فإنني لا أقصد القول أننا نريد تجلية هذه الملفوظات من خلال إعادة بناء جذورها التكوينية والكشف عن المقاصد المحركة لها أو الآليات المعرفية التي جعلتها تتحقق. إن مفهوم التلفظ الذي أوظفه لا علاقة له

1- مجموعة من المؤلفين، **الحجاج مفهومه ومجالاته**، مدارس وأعلام عالم الكتب الحديث، الأردن، 2010، ج2، من ص 80 إلى 105.

بالسيكولوجيا، ولا يفترض أثلا أن الملفوظ تمّ إنتاجه من قبل ذات متكلمة، إننا نسند إلى هذ المفهوم وظيفة دلالية خالصة"[1].

وهكذا يمكن القول أن تصور الحجاجيات اللسانية لمفهوم الحجاج يختلف عن التصور الكلاسيكي له وللخطاب عموما، ويدخل في هذا الإطار النظريات التقليدية والقديمة للحجاج وللخطابة المعرفية والفكر النقدي والمنطق الطبيعي ليست له علاقة بالبنية التركيبية للغة، فغايته التأثير أو أثار الكلام على أفكار وآراء وأوضاع ومشاعر أو سلوكات شخص او مجموعة أشخاص.

مثلا: إذا قال متكلم "هذا الكتاب مفيد" فإننا نستنتج أنه يحثنا على قراءته، وحجته في ذلك أنه مفيد.

هذا الاستنتاج حسب التصور الكلاسيكي للحجاج يتم بمقتضى قانون من قوانين الخطاب، هذه رغم أنها تحكم اشتغال النسق اللغوي، إلا أنها لا تنتمي إلى هذا النسق فهي من طبيعة اجتماعية وثقافية أي أنها توجد خارج بنية اللغة. فاللغة هي ذلك الوسيط الأساسي الواقع الموضوعي والفكر أو ما تنقله إلينا تمثلاتنا الذهنية.

أما عن الخطاب الحجاجي وعلاقته بالملفوظ فيقول: "حين نصف خطابا ما بأنه خطاب حجاجي فذلك معنا أن هذا الخطاب ملفوظين أو على الأقل: م$_1$ وم$_2$، أحدهما يعزز الآخر، الأول حجة والثاني نتيجة.

مثال: م$_1$: قسنطينة مدينة رائعة.

م$_2$: أقض العطلة في قسنطينة

1- من كلمات الخطاب لداكرو، ص ص.33-34، عن مجموعة من الباحثين، **الحجاج مفهومه ومجالاته**، مرجع سابق، ص 83.

ونقول: قسنطينة مدينة رائعة، إذن أقض العطلة فيها. أو اقض العطلة في قسنطينة فهي مدينة رائعة.

فإن هذا القول يعتبر خطابا حجاجيا حيث يقوم الملفوظ قسنطينة مدينة رائعة مقام الحجة، ويقوم الملفوظ أقض العطلة في قسنطينة إذن مقام النتيجة، أما العبارات "إذن" و"ف" بمثابة روابط حجاجية، والحجة التي تدعم النتيجة اقض العطلة في قسنطينة ليست هي الواقعة الخارجية المتمثلة في روعة مدينة قسنطينة، بل الواقعة الخطابية المتمثلة في الملفوظ "قسنطينة مدينة رائعة". وهكذا يكون الحجاج هنا زاهرة تأليفية خطابية تنشأ بين وحدات لغوية، وليس فاعلية خارجية ترتبط بمعطيات وقائعية متنوعة[1].

ومن مظاهر الحجاج الكلاسيكي التساند والتعاقد، ذلك أن الفاعلية الحجاجية تجد ما يقابلها في النسق اللساني أي في البنية الداخلية للملفوظات اللغوية التي ترد إما حجاجا او نتائج أو ما اصطلح على تسميته بالتوجه الحجاجي، أو ما تكتسيه الحجة من قيمة بالنسبة إلى النتيجة، إذ أنها تساندها أو تعاقدها او تتباين، تساند في البعض وتعاقد في البعض ولذا لدينا نوعين من الحجج:

1. حجج متساندة مثل: هذا الكتاب مفيد وثمنه مناسب اشتره إذن (حجتان يسندان نفس النتيجة).

2. حجج متعاقدة: حجتان تسندان نتيجتين متعارضتين مثل: هذا الكتاب مفيد لكن سمنه باهظ (نتيجتان الأولى: اشتر هذا الكتاب والثانية لا تشتر هذا الكتاب).

ويتم التساند والتعاقد الحجاجيين إما على جهة الإهمال أو على جهة التقيّد.

1- المرجع السابق، ص ص.90-94.

أ. حالة التساند المهمل:

والمقصود به أي الحجتين أو الحجج أقوى في مساندة النتيجة التي يشتركان او تشترك في إسنادها مثل:

هيا بنا إلى الشاطئ فالجو جميل، ثم إن الحر شديد.

حجتان تتساندان لكن لا ملفوظ يدل على أيهما أقوى فهما غذن مهملتان (الجو جميل، الحر شديد).

ب. حالة التساند المقيد:

في هذ الحالة نكون أمام تساند مقيد يتم فيه إقامة مفاضلة في القوة بين الحجتين المتساندتين.

مثال: إنه عالم كبير فهو متبصر في الفقه ومرجع في اللغة وحتى في الفلسفة.

– زيد كريم الخلق، بل ومرهف الإحساس عاشره فلا تندم.

لدينا 3 حجج: متبصر في الفقه، مرجع في اللغة ومرجع في الفلسفة. وكلها حجج تساند النتيجة: إنه عالم كبير، ولكن المرجعية في الفلسفة أقوى من الحجتين الأخريين في مساندة النتيجة.

أما المثال الثاني: فلدينا الحجتين زيد كريم الخلق وزيد مرهف الإحساس تساندان النتيجة، عائره فلن تندم لكن الحجة الثانية مرهف الإحساس أقوى وتعزز النتيجة أكثر من الأخرى.

أما المؤشر الخطابي او الرابط الحجاجي "حتى" و"بل" اللذين يؤدي ورودهما في الملفوظ إلى توليد إرشاد حجاجي يفيد بأن الحجة المقترنة بهما أقوى من غيرها.

ج. حالة التعاند المهمل:

هناك حالات يكون التعاند مهملا، بحيث لا نستطيع معرفة أي هاتين الحجتين أقوى في مساندة نتيجتها مقارنة مع الحجة الأخرى في مساندة النتيجة المعارضة.

المحاضرة الحادية عشر

آليات المقاربة الحجاجية

لقد أصبحت الدراسات الجامعية حقلا معرفيا مستقلا عمل على بناء نظريات حجاجية ذات بعد تداولي في أغلبها، كما قلت على تكييف المنطق الصوري لتحليل الحجاج المتداول بين الناس وفي حياتهم اليومية.

وقد رجع هذا التطور إلى توجيه على الحجاج من طرف الفلاسفة والمناطقة (صوريين وغير صوريين)، ورواد تحليل الخطاب والتواصل. ووفق هذه التصورات الخاصة بالخطاب الحجاجي تم تحديد مجموعة من النماذج الهادفة إلى دراسة أنواع الحجاج وهي جملة النظريات التي أشرنا إليها سابقا وإلى جانبها توجد مجموعة من المقاربات النظرية التي تعتمد الإطار الحجاجي بشكل متفاوت.

فهذا كيران يذهب يميز بين نوعين من المقاربات:

1. المقاربة الأنتروبولوجية: تعتمد على المنطق الطبيعي.
2. المقاربة العقلانية النقدية: تعتمد على نظرية التفكير والحوار النقدي.

المقاربة الأولى ترجع إلى تولمان حول استعمالات الحجة وبرلمان وتيتيكا حول الخطابة الجديدة، وهذه شكلت أصل النظريات التواصلية الحجاجية وفن الإقناع، وقد ساهمت هذه الأخيرة في وضع أسس للخطابة التي تنطوي تحت منطق الحجاج غير الصوري وحيث وضعت نظرية حجاجية كتقنية خطابية تهدف إلى التزام المتحاورين بالأطروحات التي تعبّر عن أحاسيسهم. وقد أسست هذه الدراسات لمقاربة معرفية أنتروبولوجية تضم عدة توجهات من بينها الخطابة الحجامية مع موبير وديكرو، والتوجه السوسيولساني للحجاج مع كينيولي وبلاتين، ونظرية أخلاقيات التواصل والحجاج مع بروتن، والحجاج الطبيعي مع غريز وجورج فينو وغيرها.

أما المقاربة العقلانية النقدية والتي تجمع بين التصور الأرسطي وبين التحليل الحجاجي الجدلي، أي بين التحليل الحجاجي المرتبط بمفهوم الصدق والآخر القائم على قوة الآراء والمعتقدات وعلى مفهوم الجودة، وهي ..... عنها معياريا لدراسة الحجاج ومن بينها: التداوليات الحجاجية للتواصل اللغوي، المنطق غير الصوري، منطق الحوا والجدليات الصورية، فلسفة التواصل النقدي والخطابة النقدية[1].

ويمكن القول أن الأبحاث الصادرة في الآونة الأخيرة يسكوسوسيولوجية أكثر مما هي منطقية – بلاغية، وبذلك يفلت الحجاج من رتبة الديالكتيك والمنطق والبلاغة القديمة ليرتمي في حضن التواصل وعلم النفس، فأخصائي التواصل هو الذي يدرس فن حوار السياسي والرسالة الإشهارية والصفقة التجارية والحملات الدعائية واتخذت لذلك آليات هي:

- بنية رسائل الاتصال مقاربة سياسية وسوسيولوجية: من يتحكم في الخبر ويوجهه.
- محتوى الرسالة (أنماط الحجة، طبيعة الرسالة، خصائصها.
- الآثار التي يحدثها الإقناع (تحليل النماذج الخاصة بتغير الموقف وتشكل الآراء)[2].

1- عليوي أباسيدي، **الحجاج والتفكير النقدي**، ص 39.

2- **الآليات الحجاجية للتواصل**، ليونيل بلينجر، ترجمة عبد الرفيق بوركي، saidbengrad.free.fr.pdf.

خصائص النص الحجاجي:

إن أهم خاصية يعتمد عليها النص الحجاجي البرهنة لأنه يروم الإقناع بفكرة معينة أو بوجهة نظر، لذا وجب أن يكون متناغما متناسقا تطغى عليه وحدة معلنة أو مضمرة عن طريق تقنيات خاصة.

القصد المعلن:

النص الحجاجي هدفه إحداث أثر في المتلقي أي إقناعه بفكرة ما، وهي مبنية على دعوى بين المتكلم والمتلقي، تراعي اعتقاد كل منهما وردود أفعالهما.

1- البناء:

إن دعائم البناء في النص الحجاجي ستة وهي: الدعوى (النتيجة)، المقدمات (تقرير المعطيات)، التبرير، الدعامة ومؤشر الحال والتحفظات (الاحتياطات).

2- التقويم:

من أهم ما يبنى عليه النص الحجاجي، والقيمة تستنبط مما يقوله الناس ومما يفعلونه ومما يشيد الجدال. وقد عددها بيرلمان وتتيكا واختصراه فيما يلي:

1. يتوجه إلى مستمع
2. يعبر عنه في لغة طبيعية
3. مسلماته احتمالية
4. لا يفتقر إلى ضرورة منطقية
5. نتائجه ليست ملزمة
6. النصوص الفلسفية نصوص حجاجية.

تحليل النص الفلسفي:

هناك خطوات عدّة لتحليل النص الحجاجي أهمها:

– قراءة النص قراءة المتفحص لمعرفة ماذا يتضمن من أفكار ومعلومات.

– تحديد محور الحجاج في النص من خلال معرفة أطراف الحوار وموقف الطرفين ومسند الحجة عند كل منهما، والمتأمل في كل حجة وتحديد الموقف الإيجابي أو السلبي منها.

– تحديد الهدف من الحجاج في النص والفكرة المراد معالجتها سواء بالنفي أو الإيجاب.

– ملاحظة الروابط الحجاجية ومحاولة فهم الوظائف التي وضعت من أجلها، والأساليب البلاغية والاستفهام والإيحاءات التي يشير إليها النص.

وتذهب كورنيليا فون راد في كتابها المقام المدرسي[1] إلى أن تحليل النص الحجاجي من أحسن الوسائل لتدريب الفرد على النقد والنظر في الحجاج ذاته قبل الاستسلام لنتائجه، وفي تحليل النص الحجاجي نعتمد من الناحية الشكلية على شيء أساسي وهو العناصر المهمة في عملية الحجاج أو ما تسميه بالهيكل الحجاجي أو ما سماه أرسطو بالقياس الحجاجي: مقدمة كبرى، مقدمة صغرى ونتيجة، وقد استبدلها تولمين Toulmin بقانون الغبور، السند، علامة القوة والاستثناء. وأول ما يتدرب عليه محلل النص هو إرجاع على تركيب الحجاجي (قاعدة + حجة + نتيجة).

ففي أي نص من النصو الحجاجية علينا أن ننتهي إلى الصياغة الحجاجية التالية:

– قاعدة الاستنتاج

– الحجة

– النتيجة

1– كورنيليا فون راد، **المقام المدرسي**، كلية الآداب منوبة، 2003، تونس.

ولابد من الاحتراز في تحليل النص الحجاجي عند استخراج قواعد الاستنتاج وخاصة القواعد التي تبقى ضمنية لكي نتمكن من تحديد بنية النص وتقييم المقدمات والاستنتاجات الضمنية، فنكتشف عندنا عناصر المغالطة أو نقاط الضعف في الحجاج الذي أمامنا.

ولتحليل بنية الحجاج يمكن تقسيم النص إلى وحداته الصغرى الحجاجية، والنظر في تسلسل هذه الوحدات والعلاقات القائمة بينها، ولكن قد نجد البنية الحجاجية أكثير تعقيدا كأن تكون نتيجة وحدة معنية حجة في وحدة تالية، وهكذا وهنا يصبح التفكيك أكبر أهمية في عملية التحليل.

نماذج من النصوص الحجاجية:

النص الأول: نص من محاورة بروتاجوراس لأفلاطون:

وكان الرأي أن هذا هو اللازم وكنا جميعا سعداء بأننا سنستمع إلى كلام العلماء. وقد أخذنا بأنفسنا الدكاك[1] والأسرة ووضعناها في الجهة التي كان فيها هبياس، لأنه كانت هناك بالفعل بعض الدكاك. ثم جاء ألقبيادس وكالياس يقودان بروديقوس الذي جعلاه ينهض من سريره وكذلك من كانوا معه.

وبعد أن جلسنا جميعا قال بروتاجوراس: والآن يا سقراط جاء وقت ان نتحدث، بعد أن حضر كذلك هؤلاء، حول الموضوع الذي ذكرته لي منذ لحظات بخصوص هذا الشاب.

فأجبته: سأبدأ من نفس البداية كما فعلت منذ لحظات: بالهدف الذي أتينا من أجله. ذلك أن أبقراط هذا له رغبة شديدة في أن يتتلمذ عليك[2]، ولهذا فإنه يود كما يقول أن يتعرف على ما سينتج له أن هو صاحبك متتلمذا عليك، هذا هو ما نريد أن نقول.

عند ذلك بروتاجوراس: إذن فإنك، إذا ما أنت تتلمذت عليّ أيها الشاب فانك، بعد اليوم الذي تقضيه معي، ستعود إلى دارك وقد أصبحت أفضل، ونفس الأمر أيضا في اليوم الذي سيليه وهكذا، بحيث تتقدم دائما بعد كل يوم نحو الأفضل.

عندما سمع بروتاجوراس هذا مني قال: إنك تعرف كيف تسأل يا سقراط، وأنا من جانبي يسرني أن أجيب على الأسئلة الجميلة. إن أبقراط حينما يأتي إلي لن يخضع لما قد يخضع له عند مصاحبته لهذا أو ذاك من السفسطائيين الآخرين. فهؤلاء يسيئون معاملة الشبان: فهو يهربون من دراسة الفنون المتخصصة فيأتي السفسطائيون الآخرون ليدفعوا بهم

1- الدكاك، بالكسر، جمع دكة، مقعد يجلس عليه.

2- يستخدم أفلاطون هنا كلمة Sunousia، وهي كلمة نترجمها أحيانا "بالمصاحبة"، أي أخذ العلم على يد فلان، ومن هنا فهي تعني التتلمذ.

من جديد إلى دراسة الفنون بتعليم فنون الحساب والفلك والهندسة والموسيقى[1]. (وهنا رنا بنظره ناحية هبياس[2])، أما إن جاء الشاب عندي فإنه لن يدرس إلا ما جاء من أجله: أي معرفة النصيحة الصائبة[3] فيما يخص الأمور الخاصة به، أي كيف يدبر أموره المنزلية، وفيما يخص الأمور المدنية، أي كيف يصير أعظم مما يكون قدرة على العمل والكلام في معالجة أمور المدينة والدولة[4].

ورددت: إني لأتساءل إن كنت أتابع ما تقول، لأنه يبدو لي أنك تقول أنك تعلم فن السياسة وأنك تصنع من الرجال مواطنين صالحين.

فقال: هو ذلك نفسه، يا سقراط، ما أعلن أنني أعد به[5].

فقلت: إذن فما أجمل هذا الفن[6] الذي تحوز علمه، هذا إن كنت تحوز هذا العلم حقا[7]، لأنني لن أقول لك شيئا إلا ما يكون دائرا في بالي بالفعل، ذلك لأنني لم أكن أعتقد أن هذا الفن يمكن أن يعلم، ولكني من جهة أخرى لا أملك إلا أن أصدقك ما دمت أنت الذي تقول هذا[8]. ولكنه سيكون من المناسب أن أذكر السبب الذي من أجله أعتقد أن هذا الفن لا يمكن أن يعلم ولا يمكن أن ينقله شخص إلى شخص آخر. ذلك أنني أقول، وحالي كحال باقي اليونان، أن الأثينيين رجال على معرفة[9]. ولكني أراهم، حينم نجتمع في الجمعية

1- يجب أن ننتبه إلى أن معنى Mousikê يتسع أحيانا ليعني "الثقافة الأدبية"، وإن كان يبدو من السياق هنا أن المقصود هو معناها الأدق.

2- هبياس كان أكثر السفسطائيين علما موسوعيا، انظر محاورة "هبياس الكبرى"، 285 ج – د.

3- Euboulia، أي المشورة الحسنة، أو الرأي السديد، ونشير إلى أن لكلمة Boulê وأسرتها استخدامات سياسية هامة.

4- لليوناني دائما عين على أموره الخاصة وأخرى على أمور المدينة العامة، وهو "فاضل" حينما يدير هذه وتلك بنجاح. لاحظ أهمية "الكلام" من أجل المدينة".

5- قارن "مينون"، 95ج. ولاحظ أن سقراط يترجم ككلام بروتاجوراس في عبارة أكثر اصطلاحا.

6- Tekhnê.

7- ما بين أقواس مربعة إضافة منا، وحول تحفظ سقراط، قارن "الدفاع"، 20 ب – ج.

8- لاحظ أن سقراط، كما سيقول في 361 د، قد قضى حياته في الاهتمام بهذا الأمر وبحثه. الجزء الأخير من كلام سقراط هدفه النفخ في غرور بروتاجوراس، قارن "أوطيفرون"، 5ج، "مينون"، 70 ب، 71 د، "الدفاع"، 20 ب – ج.

9- Sophoi، وهي كلمة لا تعني هنا "حكماء"، بل "مهرة"، "خبراء"، فاهمون".

الشعبية[1]، وقت أن تحتاج الدولة إلى القيام بشيء في ميدان العمارة، أراهم يدعون مهندسي العمارة ليدلوا بمشورتهم في مسائل العمارة، ويدعون بناة السفت حينما يتعلق الأمر ببناء السفن[2]. وهكذا أيضا في كل الأمور المماثلة، التي يعتبرون أنها موضع للتعلم وللتعليم. وحينما يحاول شخص آخر أن يشير عليهم بمشورة حول هذه الأمور، بينما هم لا يعتبرونه متخصصا[3]، فإنهم مهما كان من جماله او ثروته او عراقة أصله، لا يقبلون منه رأيا، بل يتضاحكون عليه ويتصايحون في وجهه، وذلك حتى ينسحب من تلقاء نفسه ذلك الذي يتجرأ على الكلام، أو أن يأمر رؤساء الاجتماع الحراس بأخذه بعيدا أو جره جرا. هذا هو سلوكهم حينما يكونون بإزاء أمر يعتقدون أنه يدخل ميدان فن متخصص. أما حينما يحتاجون إلى التشاور حول أمر يخص سياسة المدينة فإنه يقوم لمشورتهم إما نجار أو حداد أو تاجر أو صاحب سفينة، غنيا كان أم فقيرا، نبيلا كان أم من غير أصل سواء بسواء، ولا من أحد يتحرك للومهم كما كان الحال مع الآخرين، بينما هم لم يتعلمو هذا في أي مكان كان ولا كان لهم معلم على الإطلاق حتى يأتوا ليتجرؤوا على إعطاء المشورة وإبداء الرأي[4]. فمن الواضح أن الجميع لا يعتقدون أن هذا الأمر يمكن أن يعلم. وليس هو الحال مع شؤون المدينة العامة وحسب، بل إن أحكم وأعلم المواطنين عندنا وأفضلهم[5] ليسوا قادرين في الحياة الخاصة أن ينقلوا هذه الفضيلة[6] إلى غيرهم. ذلك أن بيريكليز مثلا، والد هذين الشابين[7]، قد رباهما أحسن تربية قيما يتعلق بالتعليم الذي يقوم به معلمون، أما فيما هو فيه هو نفسه عالم متمكن[8] فلا هو علمهما بنفسه ولا هو جعل آخرين يعلمانهما، بل هو

1- كان لكل مواطن أثيني حر بالغ الحق في الاشتراك في هذه الجمعية، وكانت هي السلطة العليا في الدولة.

2- كنت أثينا قوة بحرية على الخصوص، ومن هنا كان اهتمامها ببناء السفن.

3- Dêmiourgos، وتعني هذه الكلمة "صاحب مهنة" وعادة ما تكون مهنة يدوية، ولكن ليس دائما.

4- هذا هو النقد الأساسي الذي كان سقراط يوجهه إلى النظام الديمقراطي، وهو مبني كما نرى على تطبيق مفهوم "التخصص الفني" حتى على السياسةن وهو الأساسي الكبير الذي ستقوم عليه "جمهورية" أفلاطون.

5- المقصود الساسة، والكلمة المستخدمة هنا Aristoi.

6- هنا تظهر لأول مرة في "بروتاجوراس" كلمة aretê، "الفضيلة" والمقصود هنا القدرة السياسية.

7- الإشارة إلى بارالوس واكزانثيبوس الحاضرين، أنظر 314هـ – 315أ.

8- Sophos، بالمعنى الحرفي، من علم يعلم علما، والمقصود المعرفة والخبرة بالسياسة.

يتركهما على حريتهما يذهبان يمنة ويسرة، وكأنهما قد يقعان بالمصادفة من تلقاء أنفسهما على هذه الفضيلة[1]. وإذا أردت فهناك كذلك حالة كلينياس، الشقيق الأصغر لألقبيادس هذا: فخشية من الوصي عليهن وهو بيريكليز ذلك نفسه، أن يفسده ألقبيادس، فإنه أبعده عنه ووضعه عند أريفرون[2] ليقوم على تربيته. ولكن قبل مضى ستة شهور وأرجعه أريفرون أنه لم يعد يدري ماذا يفعل معه. وأستطيع أن أسرد عليك غير ذلك الكثير من الحالات التي لا يقدر فيها أناس، هم أنفسهم فضلاء، لا يقدرون مطلقا على جعل أحد يصير أفضل[3]، لا من ذويهم ولا من غيرهم.

أولا وقبل كل شيء نقول نص حجاجي مجازا ذلك أنه لا وجود لنوع نصي خالص، فلا وجود لنص حجاجي خالص أو وصفي خالص، ذلك أن النصوص مزيج من وحدات غير متجانسة، وإنما يوصف بالحجاجي عند تغليب الأسلوب المهيمن عليه.

والنص الحجاجي هو كل نص يدافع عن فكرة أو قضية او موقف، وذلك عن طريق الاعتراض الضمني أو الصريح على من يتبنى العكس، لأهمية الحجاج في المسار اللساني التداولي، كما أنه السبيل إلى معرفة الاستدلال وتمييز الحق من المحال. ولولا تصحيح الوضع في الجدل لما قامت حجة ولا اتضحت محجة ولا علم الصحيح من السقيم، ولا المعوج من المستقيم"[4].

وللنص الحجاجي وظيفتين:

1- وسقراط لا يعتقد أن المصادفة تؤدي إلى الفضيلة، قارن "مينون"، 70أ، 99أ. وحول معنى "الفضيلة" اليونانية، راجع تعليق Taylor على هذا النص (ص 74).

2- وهو شقيق بيريكليز. وراجع "القبيادس"، 118 د – هـ، و"مينون، 94ب.

3- Beltistos، ولا يجب على القارئ أن ينسى الصلة بين "الفضيلة" و"يصير أفضل"، راجع هنا 318أ، وفي "جورجياس"، 515 ب – هـ، وفي "مينون"، 93 أ وما بعدها.

4- أبو الوليد الباجي، **المنهج في ترتيب الحجاج**، تحقيق عبد المجيد تركي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط3، 2000، ص 38.

1. وظيفة إقناعية ينشدها المرسل اتجاه القارئ، وجعله يتسم وجهة نظره مستغلا أحاسيسه من أجل التأثير أو عقله من أجل الإقناع.

2. وظيفة جدالية عندما يكون هذه المرسل السخرية والتنقيص ممن لا يتفق معهم على رأي أو موقف.

ولذا نجد الوظيفة الحجاجية للخطاب تبرز من خلال البنية التركيبية للغة ذاتها باعتباره موصل لغوي، وهو علاقة دلالية تربط بين الأقوال في الخطاب تنتج عن الحاجة.

النص الثاني:

إن توفر النص الفلسفي على روابط وعوامل حجاجية وأفعال ذهنية ولغوية غير كافي للقول بوجود استراتيجيات حجاجية، بل هناك مؤشرات أخرى لا تقل أهمية عن سابقاتها ويتعلق الأمر بما يعرف داخل الأدبيات الحجاجية المعاصرة "بالمبادئ الحجاجية" التي تقابل مقدمات الاستدلال المنطقي من مصادرات وتعريفات وبديهيات، إنها "مجموعة من المسلمات والأفكار والمعتقدات المشتركة بين أفراد مجموعة لغوية وبشرية معينة..." إن النصوص الفلسفية عبر تاريخ التفكير الفلسفي الطويل مليئة بهذه المبادئ، فالعديد من الفلاسفة يعتقدون أن الصدق ونبذ العنف من القيم النبيلة، وبعض المبادئ يرتبط بمجال القيم والأخلاق وبعضها يرتبط بالطبيعة ومعرفة العالم"[1].

1- اللغة والحجاج، ص 39.

النص الثالث:

لنفرض أن هناك ساعتين متفقتين تماما في الدلالة على الوقت، مثل هذا الاتفاق يمكن أن يحدث على ثلاثة وجوه: الأول أن يكون هناك تأثير للواحدة على الأخرى، والثاني أن تكون الاثنتان معا خاضعتين لعناية مستمرة من مشرف يدأب على ضبطتهما، والثالث أن تظل كل منهما بذاتها دقيقة تماما في ضبط الوقت. والطريقة الثالثة تقتضي صنع ساعتين منذ البداية بمهارة وفن يضمنان لنا الاتفاق في المستقبل، وتلك هي الطريقة التي أطلق عليها اسم الاتفاق المقدر. فلو وضعنا النفس والجسد محل الساعتين لوجدنا أن اتفاقهما أو انسجامهما يمكن أن يحدث على إحدى الطرق الثلاثة التالية: الأولى هي طريقة التأثير، وهي طريقة الفلسفة الشائعة. ولكن لما لم تكن ثمة وسيلة لتصور الطريقة التي يمكن بها أن تنتقل الدقائق المادية أو الصفات اللامادية أو الأنواع الحسية من أحد هذين الجوهرين إلى الآخر فمن الواجب التخلي عن هذا الافتراض. أما (الثانية) طريقة الاستعانة بمشرف فهي تعني إقحام الألوهية في حادث طبيعي مألوف ينبغي وفقا للمبادئ العقلية ألا يتدخل فيه شيء مضاد للمجرى العام للأحداث الطبيعية، فلا يبقى إذن سوى افتراضي(الثالثة)، اعني طريقة الانسجام المقدرة التي نقول فيها إن القدرة الإلهية قد صاغت الجوهرين منذ البداية ونظمتها بدقة تبلغ من الكمال حدا يجعل كلا منهما في سيره وفقا لقانونه الخاص الذي اكتسبه مع وجوده يتفق تماما مع الآخر، وكأن هناك تأثيرا متبادلا أو كأن الله يتدخل دائما ليحدث الاتفاق العام[1].

استخرج من النص الأساليب الحجاجية مبينا طبيعتها.

1- ليبنتر، **التوضيح الثاني**، ص 137.

النص الرابع:

تختلف استعمالات الحجاج باختلاف مجالاته ومرجعياته، كالقضاء والفلسفة والخطابة على تعدد منابرها الدينية والسياسية والثقافية فهو: "يستمد معناه وحدوده من مرجعية خطابية محددة، ومن خصوصية الحقل التواصلي الذي يندمج مع استراتيجيته... ولا غرابة والحالة هذه أن هناك حجاجا خطابيا لسانيا وحجاجيا خطابيا بلاغيا وآخر قضائيا أو سياسيا أو فلسفيا".

وضح المقصد من النص.

النص الخامس:

يتجلى الاختلاف بين التدليل البرهاني بمعناه المنطقي والتدليل الحجاجي في مستويات متعددة المكونة للاستدلال، وإذا أخذنا على سبيل المثال المقدمات كنقطة انطلاق الاستدلال في كلا المجالين نجد ان هناك اختلافا كبيرا في تصور طبيعة هذه المقدمات وتحديد شروطها، فالمقدمات في التدليل البرهاني هي قضايا أولية ويقينية تلزم عنها نتائج موضوعية وضرورية، بينما المقدمات في التدليل الحجاجي هي قضايا شبه يقينية ومقبولة ومشتركة بين الجميع تؤدي إلى نتائج احتمالية وذاتية أي أنها تكون حاضرة في ذهن الفيلسوف بشكل مسبق، ويمكن إذن تسمية قول الانطلاق معطى أو مقدمة منطقية"[1].

1- الحجاج بين النظرية والأسلوب، ص 22.

النص السادس:

تعد العوامل الحجاجية إلى جانب الروابط الحجاجية مؤشرات على البنية الحجاجية للخطاب الطبيعي عامة والنص الفلسفي خاصة "فمن خلالها يتم توجيه المتلقي نحو الغاية من الخطاب والمقصد من الأثر الحجاجي الذي يبينه المرسل، وتجدر الإشارة إلى التمييز الحاصل بني هذين المؤشرين على البنية الحجاجية للخطاب الطبيعي". "فالروابط تربط بين قولين أو بين حجتين على الأصح (أو أكثر) وتسند لكل قول دورا محددا داخل الاستراتيجية الحجاجية العامة، ويمكن التمثيل للروابط بالأدوات التالية: بل، لكن، لاسيما، إذن...الخ.

أما العوامل الحجاجية فهي لا تربط بين متغيرات حجاجية (أي بين حجة ونتيجة أو بين مجموعة حجج) ولكنها تقوم بحصر وتقييد الامكانات الحجاجية التي تكون لقول ما، وتضم مقولة أدوات من قبيل: ربما، تقريبا، كاد، قليلا"[1].

1- اللغة والحجاج، ص 33.

النص السابع:

قال ابن رشد في كتاب فصل المقال: "إن النظر في كتب القدماء واجب بالشرع... وإن من نهى عن النظر فيها من كان أهلا للنظر فيها، فقد صد الناس عن الباب الذي دعا إليه الشرع منه الناس إلى معرفة الله، وهو باب النظر المؤدي إلى معرفته حق المعرفة...فإن أدى النظر البرهاني إلى نحو ما من المعرفة بموجود ما، فلا يخلو ذلك الموجود أن يكون قد سكت عنه في الشرع، أو عرف به. فإن كان مما قد سكت عنه فلا تعارض هنالك... وإن كانت الشريعة نطقت به فلا يخلو ظاهر النطق أن يكون موافقا لما أدى إليه البرهان فيه، أو مخالفا، فإن كان موافقا فلا قول هنالك، وإن كان مخالفا طلب هنالك تأويله".

المطلوب: وضع خط تحت الروابط المنطقية واستخراج الحجج التابعة لها وتبيان قيمتها الفلسفية.

النص الثامن:

إن الطالب الذي أنهى تعليمه المدرسي كان قد تعود على الحفظ ويظن الآن وهو مقبل على تعلم الفلسفة أنه سيحفظها أيضا ولكن هذا في واقع الأمر مستحيل، إن الأمر يقتضي أن يتعلم التفلسف، إذ لكي تحفظ الفلسفة ينبغي أولا أن تكون هناك فلسفة قائمة الذات بحيث يصبح في وسعنا أن نقدم عنها كتابا ونقول ها كم إنه علم ومعارف يقينية تدربوا على فهمه واحفظوه ثم ابنوا عليه في ما بعد وستصبحون فلاسفة. فبدل أن نعمل على تنمية المواهب الذهنية للناشئة التي وضعت في عهدتنا وإعدادها لبناء معرفة شخصية مستقبلية عند البلوغ نغشها بفلسفة نزعم أنها قد اكتملت بعد، وهي فلسفة يقترن بها وهم علم لا يساوي شيئا إلا لدى أوساط معينة لكنه فيما خلا ذلك فاقد للقيمة.

1. هل ترى أن الحجج والبراهين الفلسفية تتشابه في هذه النصوص؟
2. ماهي بنية الحجاج في كل نص من هذه النصوص الثلاثة؟
3. هل لك أن تحدد مسار الحجاج في كل نص؟
4. ماذا نستنتج؟

خاتمة:

في ختام هذه المادة التدريسية لمقياس الحجاج والذي عكس كما هو واضح مسيرة هذ الحقل الذي تأخر كثيرا، ولم يحض باهتمام الفلاسفة على الرغم من أنه يشكل ركيزة أساسية لها، ذلك أن الفلسفة ما هي إلا هدم لرأي وبناء لرأي آخر هو المنطق والصواب أقرب.

وقد أصبحت الحاجة إلى ذلك ملحة في مجتمعاتنا العربية التي أفقدها لاستبداد كثيرا من حريتها واستقلاليتها، ويه في مؤسساتنا التعليمية أشد ما أحوج إلى آليات الحجاج من أجل ممارسة النقاش والحوار خاصة في المسائل السياسية. والدرس الفلسفي لا يمكنه أن يأتي أكله إلاّ إذا علم النشء أو الشباب المقبلين على الحياة السياسية والحياة الاجتماعية وممارسة حرياتهم كما يجب أن تكون وكيف يجب أن يجادلوا بالتالي هي أحسن، فالتعليم النظامي للحجاج الذي ينطلق من مقاعد الدراسة سيصبح أكثر من مجرد إضافة مادة على البرنامج الدراسي المثقل أصلا بمواد ليست في أهمية الحجاج الذي بساهم في زيادة جرعة العقلانية في عالم فقد الكثير من عقلانيته.

المصادر والمراجع:

أ. المصادر والمراجع باللغة العربية:

- ابن منظور، **لسان العرب**، تحقيق عبد الله علي الكبير وآخرون، دار المعارف، القاهرة، د (ط، س).
- أبو الوليد الباجي، **المنهج في ترتيب الحجاج**، تحقيق عبد المجيد تركي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط3، 2000.
- أبو بكر العزاوي، **اللغة والحجاج، أفلاطون**، الدار البيضاء، 2006.
- أبو بكر العزاوي، **اللغة والحجاج**، مؤسسة الرحاب، بيروت، لبنان، د.ط، 2009.
- أبو بكر الغزاوي، **من المنطق إلى الحجاج**، مجلة فكر ونقد، المغرب، العدد 61، سبتمبر 2004.
- أبو بكر القراوي، **اللغة والحجاج**، مؤسسة الرحاب، بيروت، لبنان، د.ط، 2009.
- أحمد المتوكل، **اللسانيات الوظيفية**، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط2، 2010.
- أحمد النقاري، **التحاجج، طبيعته ومجالاته ووظائفه**، كلية الآداب، الرباط، 2006.
- أمينة الدهري، **الحجاج وبناء الخطاب في ضوء البلاغة الجديدة**، ط1، شركة النشر والتوزيع المدارس، الدار البيضاء، المغرب، 2010.
- أنطوان نعمة وآخرون، **المنجد في اللغة العربية المعاصرة**، ط2، دار المشرق، بيروت، لبنان، 2001.
- باتريك شارودو، **الحجاج بين النظرية والأسلوب**، ترجمة أحمد الوردني، ط1، دار الكتاب الجديد، 2009.
- بلانتان كريستيان، **الحجاج**، ترجمة عبد القادر المصير، مراجعة عبد الله صولة، دار سيناترا المركز الوطني للترجمة تونس، 2010.
- تيودور إويزرمان، **تطور الفكر الفلسفي**، ترجمة سمير كرم، ط4، الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، 1988.
- جان بيار فرنان، **أصول الفلسفة اليونانية**، ترجمة جمال شحيد، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط1، بيروت، لبنان، 1987.
- جميل حمداوي، **من الحجاج إلى البلاغة الجديدة**.

- جميل حمداوي، **نظريات الحجاج**، شبكة الألوكة www.alukah.net.
- حافظ إسماعيل علوي، **الحجاج مفهومه ومجالاته – دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة**، ج1، الحجاج: حدود وتعريفات، عالم الكتب الحديث، آلازون، ط1، 2010.
- الحبيب أعراب، **الحجاج والاستدلال الحجاجي – عناصر استقصاء نظري –**، ضمن كتاب: الحجاج مفهومه ومجالاته.
- حبيب أعراب، **الحجاج والاستدلال الحجاجي**، مجلة عالم الفكر، يوليو 2001.
- الحجاج، **مدارس وأعلام**، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1، 2010.
- الحسين بنو هاشم، **بلاغة الحجاج – الأصول اليونانية**، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط1، 2014.
- حمادي صمود، أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، الهيئة العامة لمكتبة الإسكندرية، كلية الآداب منوبة، تونس.
- الخليل بن أحمد الفراهيدي، **العين**، تحقيق مهدي الحرومي وإبراهيم السامرائي، دار مكتبة الهلال، ج8، بيروت، ضمن كتاب: الحجاج في الحديث النبوي–دراسة تداولية–آمال يوسف المغامسي الدار المتوسطية للنشر، تونس الطبعة 1.
- رضوان الرقبي، **الاستدلال الحجاجي التداولي وآليات اشتغاله**، عالم الفكر، الكويت، العدد 2، المجلد 40، أكتوبر – ديسمبر 2011.
- عادل عبد اللطيف، **بلاغة الإقناع في المناظرة**، ط2، منشورات صفاف، ومنشورات الاختلاف، بيروت، الجزائر 2013.
- عبد الله صولة، **الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائهم الأسلوبية**، دار الفارابي، بيروت، لبنان، ط1، 2001.
- عبد الله صولة، **أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم**، كلية الآداب، منوبة، تونس، مجلد رقم 1999/29.
- عبد الهادي الشمري، **آليات الحجاج وأدواته ضمن حافظ إسماعيل علوي، الحجاج مفهومه ومجالاته**، ط1، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، 2010.
- عثمان أبو زيد، **نحو النص**، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1، 2010.

- علي بن محمد الجرجاني، **التعريفات**، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، بيروت، د.ط، 2002.
- عليوي أبا سيدي، **الحجاج والتفكير النقدي – مقاربة تداولية منطقية معرفية نقدية –**، ط1، دار نشر المعرفة، المغرب.
- عليوي أبا سيدي، **الحجاج والتفكير النقدي – مقاربة تداولية منطقية معرفية نقدية**، ط1، دار نشر المعرفة الرباط، المغرب، 2014.
- عمار ناصر، **الفلسفة والبلاغة مقاربة حجاجية للخطاب الفلسفي**، ط1، الدار العربية للعلوم ناشرون، لبنان ومنشورات الاختلاف، الجزائر، 2009.
- فاطمة كركي وفاطمة ختافر، **تنمية القدرات الحجاجية في الدرس الفلسفي**، Socrazein.wordpress.com 2010/06/28.
- فليب بروتو، جيل جوتييه، **تاريخ نظريات الحجاج**، ترجمة محمد صالح ناجي الغامدي، مركز النشر العلمي جامعة الملك عبد العزيز، المملكة العربية السعودية، ط1، 2011.
- كمال يوسف المغامسي، **الحجاج في الحديث النبوي – دراسة تداولية –**، ط1، الدار المتوسطية للنشر، تونس، 2016.
- كورنيليا فون راد، **المقام المدرسي**، كلية الآداب منوبة، 2003، تونس.
- لالاند، **موسوعة لالاند**، تعريب خليل أحمد خليل، ط2، منشورات عويدات، بيروت، ج1، 2000.
- **ليونيل بلينجر، الآليات الحجاجية للتواصل**، ترجمة عبد الرفيق بوركي، saidbengrad.free.fr.pdf.
- مادونا طربية، **الحجاج الفلسفي وتطبيقاته النصفية**، "في كتاب الدرس الفلسفي" socrazein.wordpress.com 05/07/2010.
- مجموعة من المؤلفين، **الحجاج مفهومه ومجالاته**، مدارس وأعلام عالم الكتب الحديث، الأردن، ج2، 2010.
- محمد الولي، **مدخل إلى الحجاج، أفلاطون**، برلمان، مجلة عالم الفكر، المجلد 40.
- محمد سالم، **الحجاج في البلاغة المعاصرة**، بحث في بلاغة النقد المعاصر، ط1، دار الكتاب الجديد المتحدة، ليبيا، 2008.

- معصر عبد الله، **تقريب معجم مصطلحات الفقه المالكي**، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2007.
- هشام الريضي، **الحجاج عند أرسطو**، ضمن كتاب: أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى هيوم من إصدار فريق البحث في البلاغة والحجاج بإشراف حمادي حمود، كلية الآداب منوبة، تونس، 1999.
- هشام الريفي، **الحجاج عند أرسطو**، ضمن كتاب أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم.
- يوجين اللاترسي، **حياة الفلاسفة**، من كتاب السوفسطائيون.

ب. المراجع باللغة الأجنبية:

- Ciceron, **Brutus ou dialogue sur les orateurs illustrés**, trad : V. Verger, Œuvres.
- Diodore, **Histoire universelle de Diodore de Sicile**, Tome III, trad : L'abbé : Terasson, chez de Bure l'ainé, Paris, 1741.
- Grote G, **Histoire de la Grèce**, Traduction : A. L. De Sadous, Librairie internationale, Paris, 1865.
- Plantin, **Essai sur l'argumentation introduction de linguistique à la parole argumentative**, 1990.

مواقع الأنترنت:

- http://www.philo.hijaj.net/philo.html.

الفهرس

المحاضرة الأولى

- مقدمة 03

تعريف الحجاج 03

أ. الاشتقاق اللغوي 03

ب. المعنى الاصطلاحي (بلاتين، طه عبد الرحمن) 04

المحاضرة الثانية

الحجاج والمرادفات ذات الدلالة الواحدة 08

أ. الحجاج والجدل 08

ب. الحجاج والبرهان 08

ج. الحجاج والمناظرة 10

د. الحجاج والإقناع 11

هـ. علاقة الحجاج بالخطابة والجدل 13

الخطباء القدامى 13

المسائل المختلف عليها في نظرية الحجاج 15

المحاضرة الثالثة

بيئة ظهور الحجاج 17

علاقة الحجاج بالأسطورة 19

تاريخ الحجاج، الأصول اليونانية والنشأة 21

بين البلاغة الكلاسيكية والبلاغة الجديدة 31

البلاغة الحجاجية عند بيرلمان Perlman 33

المحاضرة الرابعة

موقع الحجاج من الخطاب الفلسفي 34
الفلسفة والحجاج 34
الحجاج والنص الفلسفي 34
أهمية الحجاج للدرس الفلسفي 36
أنواع الحجاج في النصوص الفلسفية 42
أ. الاستنتاج أو الاستنباط 42
ب. الاستقراء 42
ج. المماثلة 42
د. المجاز والأشولة 42
هـ. الدحض 42
و. حجة البرهان بالخلف 43
ز. حجة البرهان بالمنطقي 43
ح. حجاج بلاغية 43
النص الحجاجي 44
بناء النص الحجاجي 45

المحاضرة الخامسة

النظريات الحجاجية 47
تمهيد 47
نظرية الحجاج الجدلي 47

المحاضرة السادسة

الحجاج البلاغي الأرسطي 50

المحاضرة السابعة

الحجاج البلاغي الجديد أو الأرسطيون الجدد 54
نظرية الحجاج المنطقي والطبيعي 55

المحاضرة الثامنة

الحجاج اللغوي 59
أ. الحجة السياقية 60
ب. الحجة السببية 60
ج. حجج قابلة للإبطال 60
السلم الحجاجي 61

المحاضرة التاسعة

الحجاج التداولي 64

المحاضرة العاشرة

اللسانيات الحجاجية 65
أ. حالة التساند المهمل 68
ب. حالة التساند المقيد 68
ج. حالة التعاند المهمل 68

المحاضرة الحادية عشر

آليات المقاربة الحجاجية 69
خصائص النص الحجاجي 71
تحليل النص الفلسفي 72
نماذج من النصوص الحجاجية 74
النص الأول: نص من محاورة بروتاجوراس لأفلاطون 74
النص الثاني 79

النص الثالث 80
النص الرابع 81
النص الخامس 82
النص السادس 83
النص السابع 84
النص الثامن 85
الخاتمة 86
قائمة المصادر والمراجع 87
الفهرس 91